7me Année No. 303

بدل الاشتراك عن سنة

ص	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 24 - 4 - 1939

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسؤل
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــــدد ٣٠٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٤ ربيع أول سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٤ ابريل سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــرس

مغزى رسالة الرئيس روزفلت

اقتلوا الجوع تقتلوا الحرب

عالجت الرسالة فى بضع عشرة مقالة آلام الجوع وآثام الفقر وما ينجم عنهما من مآسى الحياة ؛ وكان فى ظننا يومئذ أن الناس متى هذبتهم المعرفة وصقلتهم المدنية يصبحون أعلم بحكمة الله ، وأفهم لسياسة الدين ، وأجدر أن يحكّموا العقل والعدل فيما شجر بينهم على قسمة الدنيا وغلة الأرض ؛ ولكنا تركنا الموضوع قانطين من رحمة القلوب ، لأننا وجدنا غاية الأمر فيه لا تبعد عن البكاء والاستبكاء ، ما دام الحكم لأيدى الأقوياء ، والتشريع لألسنة الأغنياء ، والتغلب والسبق للناب العضوض والجناح المحلق . وقلنا ونحن نمسح عن القلم سواد الخطوط : لا يزال فى قدر الله أن يكابد بنو آدم عقابيل البهيمية الأولى ، فيوطأ الوانى ، ويُسترق العانى ، ويؤكل الضعيف ، ويكون هنا الطمع والكزازة والأثرة ، وهناك الحسد والحزازة والثورة ، ثم لا يفصل بين الواجد والفاقد غير الحرب . فالحرب لا تنفك مشتعلة بين الفرد والفرد ، وبين الأسرة والأسرة ، وبين الأمة والأمة ، بالقول أو بالفعل ، وفى السر أو فى الجهر ، حتى يتدارك الله عباده فيهيئ نفوسهم لفض هذه الخصومة ، بغير هذه الحكومة

* * *

والخصومة بين الناس أولاً وأخيراً هي المادة ؛ والنكبة الأزلية على النظام والخلق هي الفقر ؛ وكل ثورة في تاريخ الأمم ، أو جريمة في حياة الأفراد ، إنما تمت بسبب قريب أو بعيد إلى الجوع . حتى الشهوة : شهوة الغرام أو الانتقام لا تقع في تاريخ الجناية إلا في المحل الثاني بعد الجوع ، لأنها لا تكون إلا عرضاً من أعراض الشبع . من أجل ذلك جاء دين الله يخفف عن الفقير بالإحسان والعدل ، ويدفع عن الضعيف بالمودة والرحمة ؛ ولكن عُرام النفوس كان أقوى من أن يرده الثواب المغيَّب والعقاب المؤجل ، فنبت على أمر الله ، وعللت نفسها بالنجاة من باب التوبة المفتوح ، ومن طريق المغفرة الواسع . ثم حاولت فلسفة الناس أن تجد سلام المجتمع في أنظمة متناقضة يدفع بعضها في صدر بعض ؛ فوقع العالم من جراء النزاع بين الفردية والاشتراكية ، والصراع بين الدكتاتورية والديمقراطية ، في حرب عنيفة رعناء لا تأصرها آصرة ولا تدركها شفقة ، حتى أكلت من أمة الأسبان وحدها مليونا أو ربما من شبابها الآمل العامل ؛ ثم أخذت تخمد في هذا الميدان الضيق المحدود لتستعر في ميدان لا حد لعرضه ، ولا نهاية لطوله : هو العالم !

* * *

أينما يكن الغنى يكن السلام ، ما في ذلك ريب ولا جدل . ففي أمريكا وانجلترا ، وفي فرنسا وسويسرا ، تجد الناس في ظلال الأمن مقبلين على الإنتاج المعمِّر والاستهلاك المرفِّه ، لا نكاد نرى بينهم عيناً تحسد ولا قلباً يحقد ولا يداً تجترح

وفي ألمانيا وإيطاليا أصيب الناس بسُعار من الجوع زاده طمع الطاغيتين التهاباً واستكلاباً فانقلب إلى نوع من عبث نيرون أو انتقام شمشون أو مقامرة اليائس الذي يضرب الضربة الحمقاء ليربح الكل أو يخسر الكل !

فلو أن الله أتاح لأبناء برلين وروما من سعة الدنيا ونفاق التجارة ووفرة المال ما أتاح لأبناء لندن وباريس ؛ ولو أن الله لم يبتل أبناء روما وبرلين بمن طحنهم بالعمل ، وعصرهم بالضرائب ، وقهرهم بالحرمان ، واتخذ من أجسادهم وأرواحهم وأقواتهم مدافع تقذف بالنار ، وطوافر ترمى بالسم ، لما رأيتهم يكفرون بالإنسانية ، ويتنكرون للمدنية ، ويفعلون فعل القوى المحتاج : تضطره الحاجة إلى السرقة ، وتدفعه القوة إلى القتل . فهم يخرجون اليهود من ديارهم ليأخذوا المال ، ويحتلون الأمم بجيوشهم ليملكوا الأرض ، ويلقون الدول القوية في بُحْران من القلق والفزع والذهول ، ليضعوا أيديهم الجارفة على أرزاق الدول الضعيفة

* * *

رأى خليفة ولسون وهو في دنياه الجديدة السعيدة أن الجوع الذي ولدته الحرب الكبرى في قصر فرساي قد اشتد أسره ، وصلب عضله ، وفحش طوله ، وضخم بدنه ، حتى انشق إلى تنينين فظيعين لكل منهما مليون رأس ، ومليون يد ، وفي كل رأس ناب يقطر السم الزعاف ، وفي كل يد مخلب ترسل الموت الوحيّ . فبعث إليهما برسالة من بقايا النبوة الأولى ، فيها الدعوة إلى الحق بالقول اللين كدعوة موسى التي لم تصب أذناً في مصر ، وبالمنطق المؤيد بالقوة كدعوة محمد التي لم تخطئ أذناً في العالم

يطلب الرئيس روزفلت من الجوع المتجسد المتنمر أن يحبس لعابه المتحلب ، ويكفكف سعاره المضطرم ، ويقبض لسانه اللاهث ، ويتخذ هيئة الإنسان ليلتقي بخصومه في مؤتمر عام يجمع الغرب والشرق على المبادئ التي شرعها الله فكفروا بها ، والخطط التي نهجها المصلحون فحادوا عنها ؛ ثم يضعون لهذه الدنيا المتدابرة المتناحرة سياسة جديدة تجعل أرض الله مضطرباً لكل كادح ، وخير الأرض مشاعاً لكل مستغل . ويومئذ يكون الفصل بين عالم عاش فيه الحيوان بغرائزه الوحشية ، يقوى فتنتشر مخالبه بين شعره المنفوش ، ويضعف فتنطوي تحت حرير الفروه ؛ وبين عالم يعيش فيه الإنسان بطبائعه الدينية ، يعدل بين جنسه وغير جنسه ، ويحب لغيره ما يحب لنفسه ، ويطمس في ذهنه حدود البيت والأسرة ، ومعالم الوطن والأمة ، ليصبح الناس كلهم أسرته ، والدنيا بأسرها وطنه .

ويومئذ تستطيع الإنسانية أن تتبجح بعزة العقل والعلم وتقول لقافلتها الضاربة في مجاهل الأبد وهي لا تملك مشاعرها من القلق والفَرَق : لقد زال الطمع فزالت العداوة ، ومات الجوع فماتت الحرب .

احمد حسن الزيات

رقـــم !...

للأستاذ عباس محمود العقاد

مليون ومائتا ألف !

هذا هو الرقم فى الحساب ، وهو عدد الذين قتلوا فى الحرب الأسبانية الأهلية من رجال ونساء وأطفال، ومن مقاتلين وموادعين. بل كان عدد القتلى من الجنود أقل من عدد القتلى الذين لم يحاربوا ولم يحملوا السلاح ؛ لأن هؤلاء قد بلغوا ثلاثة أرباع المليون !

رقم ! ... وماذا فى الرقم من دلالة ؟ كل ما هنالك أن ألوفاً كثيرة أصبحوا اليوم موتى وكانوا بالأمس أحياء

ألا يعرف الإنسان هذا من قديم الزمان ؟ ألا يعرف أن ألوف الألوف وملايين الملايين كانوا فى عداد الأحياء فأصبحوا فى عداد الأموات ؟

فاذا فى هذا الرقم الجديد ؟ وأى شىء فيه يستوقف نظر القارئ أو يعوقه لحظة عن إتمام بقية السطور ؟

* * *

لكنّ كاتباً من الكتاب يعمد إلى واحد من هذه الرقم فيخلق حوله مأساة ، أو يبسط المأساة التى خلقتها الحوادث عياناً كأفجع ما يتخيل الخيال

يرينا إياه إنساناً له آمال ، وأباً له أطفال ، وقريناً له قرينة ، ومحباً له محبة ، وعدواً له ضغينة

يرينا أطفاله عراة جياعاً مشردين فى العراء وقد كان موضعهم من الحياة فوق مهاد وبين أحضان

ويرينا الفتاة اللعوب التى كانت نظرة من عينيها أو لمحة من بين أهدابها أملاً تتعلق به حياة الخاطبين ، فإذا هى جيفة يعرض عنها الناظر ، أو بغياً يبتذلها الطريق

ويرينا على الجملة قلب إنسان واحد يتمزق بين هذه القلوب ، فإذا بصدر القارئ يخفق، وبعينه تدمع، وبرأسه تقيم فيه الخواطر، وبالدنيا تضيق فى وجهه ، وبالرقم المهمل شيئاً مرعباً تقشعر له الأبدان وتجفل منه الأبدان.

ما أبلد خيال الإنسان !

* * *

نعمة من النعم فى بعض الأحايين أن يعى الإنسان ببلادة الخيال . وإلا فأين هى النفس التى تتخيل ما وراء ذلك الرقم أو ما وراء ذلك المليون والآلاف المائتين من المآسى والفواجع والآلام والأحزان والأهوال والأثقال ثم تقوى على مس تلك الصدمة إلا كما تقوى على مس التيار الصاعق من الكهرباء ؟

لكنها نقمة من النقم أن تبلغ بلادة الخيال ذلك المبلغ الذى لا يرى من وراء الملايين المقتولة إلا رقماً من الحساب

نقمة تجر إلى شتى النقم ، لأن الناس لو تخيلوا بعض ما ينبغى أن يتخيلوه من أهوال الحروب وأثقال الفواجع لبطلت منذ عهد طويل

فاللهم لا ذلك الحس الذى يصعق كما تصعق الكهرباء ، ولا هذه البلادة الصماء التى تلحق الآدمى بالبهيمة العجماء

اللهم ذلك الحس الذى يبكى لمصرع مليون يتخيلهم مصروعين كما يبكى لمصرع فرد واحد يراه بعينيه ويعلم ما فى مصابه من شقاء لذويه ومحبيه

فهل نعلم ما للخيال من شأن فى تمثيل المصائب والثورة عليها والتمرد على مقترفيها فلا نضن عليه بالتغذية ولا نستكثر عليه ما نسميه لهو البطالة وإزجاء الفراغ ؟

* * *

وكأنما « المريخ » مخلوق له طالع من طوالع السعود ، وجد لا يصيبه تقلب الجدود

ففى كل عصر له رزق مسوق إليه على حسب ما يكون فى ذلك العصر من علم أو صناعة أو تدبير

قيل إن الناس قد لطفت خلائقهم فى العصر الحديث حتى لا يطيق أحدهم أن يبقر البطون ويبتر الأوصال ويشهد اختلاج الأرواح المزهقة فى الأجساد الممزقة كما كانوا من قبل يصنعون قبل ألوف السنين

قيل هذا ولعله صحيح أو قريب من الصحيح ، ثم هممنا أن نرجو بعض الرجاء ، وهم المريخ أن يقنط بعض القنوط ، فأقبل العلم الحديث برزق جديد لذلك المخلوق المجدود : إنه الحرب الذى

أنذره أبو العلاء بسوء المصير حين قال :

ولنار المريخ من حدثان الدهر مطف وإن علت فى اتقاد

فما أدركه النذير ؟

لأن الحرب الحديثة تحول بين القاتل وصرعاه فلا يرى ما هو صانع من فتك وتمزيق وتهشيم

فإذا ركب متن الهواء وألقى بالنار فى الفضاء ، فلا عليه بعد ذلك أن يلبث فى مكانه هنيهة واحدة ليشهد الخراب والشقاء ، ويسمع الصياح والبكاء ، ويندم على ما أساء ، إن ظن أنه أساء

أما الذى يرى الفجيعة بعينيه ويسمع الصيحة بأذنيه فليست الرؤية بمانعة له أن يصنع بأعدائه ما صنع به أعداؤه ، بل لعلها حافزة له إلى الشر ومثيرة له إلى القصاص ، ومضيفة إلى رزق المريخ الذى خيفت عليه المسغبة فى العصر الحديث : عصر الشعور اللطيف والإنسانية المهذبة ، والرفق بالحيوان قبل الإنسان !

* * *

ولكل سم ترياق !

العلوم الحديثة قد حالت بين القاتل والفريسة ، ولكنها لم تحل بينه وبين أشباحها وأطيافها

فإذا احتجبت عنه جرائر صنعه فهنالك الصور المتحركة تعيدها إلى عينه وإلى كل عين ناظرة كأنها ضمير النادم أو لسان التبكيت والتعزير .

فهل فى العلوم ترياق لسم العلوم ؟ عسى أن ينفع ذلك الترياق إن صح أنه ترياق

فليس أبشع من صورة الحرب المكسوبة إلا صورة الحرب المفقودة ، كما قال ولنتون ونحن نعلم من هو ولنتون .. هو كاسب المعركة التى هيهات أن يفرح بالنصر أحد إن لم يكن فيها سرور لقائدها المنصور ، لأنه كان نصراً على نابليون سيد المنصورين والمهزومين

فإذا كان قصارى النصر أن يهون البشاعة فأخلق بالناظرين الذين لا ينتصرون فيها ولا ينهزمون أن يلمسوا كل ما فيها من بشاعة مرذولة بغير تهوين ، وأن يقاوموا بشعور المقت والنفور ما أبطله الحجاب بين القاتل وصرعاه فى حروب هذا الزمان

* * *

ولكل ترياق آفة !

نعم لكل ترياق آفة تفسد ما فيه من شفاء ، إن لم تعالجه يد تحسن العلاج

فمن أين لنا أن الصور المعروضة على الناظرين تعودهم أن ينظروها ولا تعودهم أن يمقتوها ويغضبوا على آثميها ؟

من أين لنا أننا نشحذ الضراوة ولا نشحذ الرحمة بذلك التمثيل والتقريب ؟

الأمر كله موقوف على طريقة التناول وطريقة التلقى وطريقة التعويد ، وذلك الذى يقف بالترياق الناجع بين الآفة والشفاء

* * *

تحدثت الأديبة الرحالة « روزيتا فوربس » إلى طاغية الروس ستالين فوصفت له ما شهدت من صرعى المجاعة والتشريد وحاولت أن تلمس ضميره من قريب أو من بعيد

فالتفت إليها سائلاً : كم قتيلاً مات فى الحرب العظمى ؟

وأسرع الترجمان فقال : سبعة ملايين !

فعاد ستالين يقول : سبعة ملايين ذهبوا لغير غاية معلومة . أما نحن فنبنى حضارة جديدة ونقيم الإنسانية بأسرها على أساس جديد ، فماذا يضير أن يموت فى سبيل ذلك من يموت بالمجاعة والتشريد ؟

لو كان ستالين يتخيل كل واحد من أولئك الهالكين بالعرى والجوع فيأخذهم مأخذ الفنان الزاوية لما أجاب ذلك الجواب ، ولكنه يأخذهم رقماً فى الحساب ، وليس للرقم نعيم ولا عذاب . ولن تبطل الحرب ما دامت مصاير الأمم بأيدى الحاسبين من أمثال ستالين

عباس محمود العقاد

لعبة التخادع في الحياة

للأستاذ عبد الرحمن شكري

كثيراً ما يخطئ المخادع المحتال إذا حسب أن الناس قد انخدعوا بمكره ، وكلما كان نصيب المخادع من الذكاء أقل كان اعتقاده في قدرته على خدع الناس أعظم فلا يتخذ في وسائل خداعه من الأساليب ما يحتاط به لفطنة الناس إلى خداعه

أما المخادع الذكي فإنه يفطن إلى أن الناس كثيراً ما يتظاهرون بالانخداع ويدعونه إما لكي يعرفوا غاية المخادع ومأربه ، وإما لأن لهم لذة في أن يخدعوا المخادع وأن يضحكوا منه في سرهم ، وإما لأن لهم مأرباً لا ينالونه منه إلا بإظهار الانخداع له . ومن أجل ذلك ترى المخادع الذكي يحاول أن يستفيد من ادعائهم الانخداع قدر ما كان يستفيد لو أنهم انخدعوا حقيقة . والقدرة على الاستفادة من ادعاء الناس الانخداع هي سر النجاح في الحياة ، وليست بمستطاعة لكل إنسان . والحياة في كل عمل أو مظهر أو رأي أو مطلب ومكسب وفي كل حاجة من حاجاتها يوجد بجانب ما بها من الصدق شيء من الخداع والانخداع وادعاء الانخداع ، وهذه هي أقانيم الحياة الثلاثة أو ثالوثها المقدس

وقد تدرك الحيرة الشاب الذي يزاول الخداع في الحياة في أول عهده بالفطنة لما يتطلبه النجاح من الخداع ، فإنه قد يبدأ في خداع إنسان فإذا بذلك الإنسان يحاول أن يخدعه بأن يدعى أنه انخدع به حقيقة . وهذا يكون كالنشال الذي يقابل إنساناً يتوسم فيه السذاجة وهو لا يدري أنه نشال مثله فيسلم عليه بيد ويمد اليد الأخرى بخفة إلى ثياب ذلك الإنسان يبحث بها عن حافظة نقوده ، فإذا به يشعر أن يد ذلك الإنسان الأخرى تبحث عن حافظة نقوده هو ، فتدركه الحيرة ويكاد لا يعرف أيهما النشال

وهذا يذكرني بما جاء في كتاب الكامل للمبرد عن أخذ البيعة بالخلافة ليزيد بن معاوية ، فقد أطنب الناس في مدحه وأسرفوا إسرافاً جعل يزيد ، وقد كان ذكياً ، يعرف أنهم غير منخدعين بصفات المدح التي وصفوه بها وهي ليست من صفاته ، وأدرك أن لهم مأرباً في ادعاء الانخداع بخلقه وصفات نفسه ، فالتفت إلى أبيه معاوية وقال : يا أبي هل نخدع الناس أم هم الذين يخدعوننا ؟ فقال له معاوية: يا بني ، إنك إذا أردت أن تخدع إنساناً فتخادع لك حتى تنال منه ما تريد فقد خدعته. أي أن ادعاء الناس الانخداع وإن كان باطلاً فهو وانخداعهم سيان ما دام المرء ينال منهم ما يريد . وهذه حكمة من معاوية تدل على أنه كان بصيراً بالنفس الإنسانية ومسالكها في الحياة .

وهي حقيقة تحس في كل مجلس من مجالس الناس ، وفي كل بيئة . فهي ليست بالأمر الصعب إدراكه . بل لولا ادعاء كل معاشر أنه انخدع بمعاشره في أمور الحياة ما طابت الحياة . ومن أجل ذلك لا يمقت الناس أحداً قدر مقتهم الرجل الذي يريد أن يرفع غطاء الرياء عن الحياة ، ويختلقون له أسباباً يسوغون بها مقتهم . وكأن لسان حالهم يقول له : دعنا نخادعك وخادعنا أنت أيضاً كما نخادعك ، وادع انك انخدعت بنا ، ودعنا ندعي أننا انخدعنا بك . فإن من الإنصاف ، أو من الذوق ، أو من الرحمة أن يدعي كل عشير أنه انخدع بعشيره ما دامت النفوس لا تستطيع الحياة إلا على هذه الأخلاق ، ولا تستطيع أن تغيرها . وكأنما يقول لسان حالهم أيضاً : إن تبادل ادعاء الانخداع مثله مثل من يعطي هدية ، ويأخذ هدية في قدر قيمتها . ومطالب الحياة لا تنال إلا على هذا النمط . أما الذي يريد من الناس أن ينخدعوا له ويغضب إذا اتضح له أنهم لم ينخدعوا ، بل يدعون الانخداع ، ويعد ادعاءهم الانخداع له عملة زائفة لا يقبلها ، ويطلب منهم العملة غير الزائفة ، أي انخداعهم الحقيقي ؛ ثم هو لا يعطيهم لا انخداعاً ولا ادعاء للانخداع ، فمثله مثل من تقدم له هدية فيغضب إذا لم يعط أعظم منها ، وهو لا يعطي مثلها .

وينبغي للإنسان إذا ادعى الانخداع لعشير أو صديق أو رئيس أو مرءوس أو عميل أن يلازم الحذر من أن ينقلب ادعاؤه الانخداع انخداعاً حقيقياً ؛ فيكون كمن يرى لصاً في منزله فيدعي النوم حتى

يجد من اللص غفلة ليتمكن منه ، فإذا بادعائه النوم قد صار نوماً ؛ فينط فى النوم حتى يأخذ اللص كل ما يريد من البيت ويتركه ، وصاحبه قد ادعى النوم حتى نام .

وهذا أيضاً شبيه بمن يريد أن يحتال على إنسان فيقدم له قطعة من الذهب ويدعى أنه وجد كنزا كى يخدع ذلك الإنسان ، ويسلبه ماله، فيدَّعى ذلك الإنسان السذاجة وأنه انخدع ، ويأخذ القطعة كى يسأل عن قيمتها ثم لا يعود .

وهو أيضاً شبيه بصاحب الورق المقامر على الورق المقلوب من ورق اللعب ، يدعى الخسارة ويعطى اللاعب جنيها كى يستدرجه ويسلبه ماله فيدعى اللاعب أنه ساذج ، ويظهر رغبته فى استئناف اللعب والقمار ، ويستأذن فى قضاء حاجة ضرورية من حاجات الجسم ثم يذهب بالجنيه ولا يعود .

وهـذه الأعمال لها نظائر وأشباه بالقياس فى أعمال الناس الجليلة الكبيرة المشروعة المحترمة . فالحذر عند ادعاء الانخداع ضرورة . أما أن يفتخر المرء بأنه لا يستطيع أحد أن يخدعه فإذا كان يراد به التملق لمن يتظاهر مع ذلك بالانخداع لهم فهو دهاء ، ووسيلة كسب بالمكر . أما إذا أريد به مضايقة الناس وتحريك عوامل خوفهم وبغضهم فهو سذاجة أو بلاهة ، ولا شيء يدعو إلى الفشل فى الحياة كاعتقاد الناس فى إنسان أنه لا ينخدع ، ولا يدعى الانخداع ؛ وهـذا الاعتقاد يؤدى إلى بغض الناس من يعتقدونه فيه حتى وإن كان اعتقادهم باطلاً لا أساس له ، وهذا التظاهر بالانخداع هو ما جعله أبو تمام من أسباب السيادة وسماه بالتغابى فى قوله :

ليس الغبيُّ بسيِّدٍ فى قومه
لكنَّ سيد قومه المتغابى

وتبعه البحترى فقال :

وقد يتغابى المرء فى عُظْمِ مالِهِ
ومِنْ تحت بُرْدَيْهِ المُغيرةُ أو عمرو

عبد الرحمن شكرى

صلوات فكر
في محاريب الطبيعة
للأستاذ عبد المنعم خلاف

يا أرض الرستمية !

عليك السلام من عينى اللتين تدوران فيك دورات زائغة زئبقية مروعة وتلقطان الصور من حياتك ومواتك وآفاقك وذراتك . . .

ومن قلبي الذى قدستِ أسراره وقدس أسرارك وخلدته وخلدك . . .

ومن فكرى الذى صقلتِـه وأرهفـته وجعلتِـه يتصل بأصول الحياة ويرتبط بوثيق الأسباب . . .

لقد توسعت نفسى من رحبك وتعددت بتعدد مرائيك ، ورقرق خواطرى نهرك الوديع اللعوب ، فى ابتسام الفجر وبكاء الغروب ، وأحسست سلامة النبات وهدوءه وصبره وصمته ونموه وإشراقه يدب فى جسدى . . .

لقد اختلطت فيك الرؤى بالأحلام ، والصحو بالذهول والمنام ، فتوسع عالمي ورأيت فى دنياى وفى نفسى مخابئ وعجائب ومدخرات ومكنونات . . .

لقد خلدت فى خيالى صور الأعواد الجافة والخضراء والربى والوهاد والزهر والمطر حتى لأوشك أن أعد كل أولئك واحداً واحداً من ترديد النظر وانطباع الصور . . .

وهل أنسى كئوس النـور والظلام التى أدرتها على عينى مخضبات بأصباغ الشفقين ، مشعشعات بالندى والطل ، مطيبات بنفح الزهر وأنفاس السحر ؟

لقد شربت عيناى فيك من النور والظلام فسكرت سكراً أبدياً أفرغ فى كل خلية من خلاياى نشوة وفتوناً

لقد دخلتك كارهاً فراق بغداد . . . فكنت كالذين يقادون إلى الجنة بالسلاسل !

ثم انطلقت فى رحابك انطلاق رياحك وأطيارك ، أحمل قلبي

إلى كل مكان كما تحمل الطير قلوبها على الأغصان ، أقف على كل ما فيه حياة ونبض لآخذ لقلبي منه قوة وطاقة يستعيض بهما عما يبذله ويسرف في بذله

فإني حين رأيت عيني عاجزة أن ترى « سر الوجود » جعلت أرى بنفسي في مواضع يده . وكأنه عند ما بدت مني لهفتي الدائمة إليه أوسع لي من عطفه فأخذني إلى قطعة فاتنة من الطبيعة المكشوفة التي لا حجاب بينها وبين حواسي الداخلية والخارجية ، لأرى يده دائماً من وراء ستر شفاف فقادني إلى الرستمية

وقد عشت مختنق الحواس في المدن ، لا أرى إلا حجارة ميتة موضوعة بهندسة الإنسان ، ولا أرى من الطبيعة إلا قطعة من السماء في سمت شارع أو من نافذة دار . وهيهات كان تيقظي إليها . . .

وكنت لا أتذكر الطبيعة إلا برؤية شجيرات في الشوارع تكاد تنكر وجودها في هذه الأماكن الصناعية ، وتكاد عيني تحسبها صنعة إنسانية كالأثاث في وجهات الحوانيت . وكنت أزور الطبيعة المكشوفة التي في خارج أرباض المدن كما يزور السائح الأمريكي متحفاً للآثار في الشرق . . .

وحقاً استحالت الطبيعة البكر المكشوفة كتاحف للآثار التي كان يستعملها أجدادنا وصارت لانقطاعنا عنها غريبة علينا . وصرنا لا نرى مشاهدها إلا من خلال عدسة التصوير أو من ريشة فنان أو ألفاظ قصيدة . . .

ثم قصر الناس صلاتهم على الأنصاب والهياكل والأماكن المظلمة الضيقة التي لا يرون فيها إلا أجسادهم ، وتركوا المحاريب التي بناها رب الحياة بيده هو لعبادته بالفكر والقلب . . .

تركوا المعبد المفروش بالأعشاب والرمال ، المسقوف بالمصابيح الزهراء ، القائم على جدران من سامقات الجبال وأعمدة من بواسق النخيل وفارعات السرو ، المغسول بشعاع الشمس والقمر ؛ وكأنهم بنوا معابدهم لتحمى أجسادهم من فيضه وفيض طبيعته ، وتركوا قلوبهم تختنق فيها بالبخور والعطور والأصوات القردية التقليدية

أما أنا . . . فورب الحياة لأعبدنه في الطبيعة تحت الهواطل والصواعق ، في حرارة الهواجر وبرودة الأسحار ، في وضوح النهار وانبهام الليل ، في جمرات الظهيرة ولفحات العتمة ، ولو طارت بي الريح . . . ولو وقع على سقف الدنيا !

ولأنادينّ على اسمه : الصلاة جامعة أيتها الأحياء . . . إلى الإحساس بالحياة ورب الحياة . . . قومى مصطفة في أماكنك المحدودة الموزونة . . .

فيسجد كل كائن في مكانه ويسجد قلبي معه . . .

وسأعود إلى أحضان الطبيعة أغنى في أذنها كطفل يغنى في أذن أمه ويدفعه قلبه العاشق الراهب إلى التمسح فيها والاحتماء بها . . .

وسأحمل قلبي إلى كل مكان فيها كما تحمل الطير قلوبها إلى كل شجرة . . .

وسأسجل خواطرى عنها في كل ساعة تتعرض لي فيها بفتنة من فتونها ، وأرصدها وهى يقظة أو نائمة ، خفرة محتشمة أو عاهرة متبرجة ، ضاحكة أو باكية ، حبلى مكدودة تعانى آلام الحمل والطلق والوضع أو فارغة خفيفة . . .

لقد احتكرتنى لنفسها ولم تدع في قلبي مكاناً لحب غيرها إلا أن يكون مَرَدُّه إليها وجماله من جمالها

فيا ابن الإنسان ! هلم معى إليها . لقد كنت تتخذ الحجارة وكثيراً من الأشياء التافهة آلهة من شدة شعورك بها فتسجد لها . أفلا تصلى معها الآن لربها الذى اهتديت إليه ؟

هى لا تزال شاعرة بربها كما كانت وكما تكون . وذهب شعرك أنت بها وبربها . وصرت تسجد لنفسك . فمن يعبدك معك ؟ لا شيء . . . إن الحجارة تأبى أن تعبدك كما عبدتها أنت في ضلالك القديم !

١ — قبيل الربيع

الطبيعة تلد من كل جسمها . . . جاء ابتداء دورة زمنية . . . الأجنة تتحرك للانفصال من العالم الغائب . . . الأنواع من نباتها وحيوانها تزدحم لتسير في الموكب . . . يستعرضها صاحب الوقت القائم على الزمان .

أنا لا أشترك في الموكب لأنى عقيم لم أقدم قرباناً ما للحياة بالقاء بعض الأحطاب إلى شعلتها ؛ ولذلك جعلتنى من الواقفين على هامش طريقها يهتفون لها بالقصائد اللفظية .

لعلها غاضبة عليّ ، لأني عاق لها بالعمل ، وإن كنت باراً بها ن الشعر . أما أبناؤها البررة فقصائدهم : شجرة أو ثمرة أو ورقة أو زهرة أو فرخ بيضة ، أو كتلة لحم تصرخ في أذنها وتتكلم ! يقدمون ذلك لها في كل عرس من أعراسها كبرهان ولاء وطاعة وشعر حقيق ...

قد يخاف الفيلسوف من موت الثمرات أو مرضها أو فسادها ... ولكن الطبيعة تود الثمرات ولو كانت معطوبة . تود حياة الأمل والألم لا حياة العقل الجامد . تود أن تسمع عويل الثكل وصوت النعي ، كما تود أن تسمع صوت البشير وضجيج الميلاد .

تريد دائماً أُمّاً تصرخ في أذنها إما من الطلق والوضع ، وإما من الفقد والثكل . تريد جنيناً محمولاً في ظلمات البطن ، ورضيعاً ملفوفاً في لفائف القماط ، أو محمولاً في بطن النعش ملفوفاً بلفائف الكفن ...

قانونها هذا : أرحام تدفع ، وأرض تبلع ! ! لأنها لا تدور على فراغ ، ولا تسمح ببقاء دائم .

٢ — الربيع

أنظر بعينيك في كل مكان في السماء والأرض ، واحذر أن يشردا منك ولا يرتدا إليك ...

أدرهما على كل طفل من أطفال الطبيعة ... واحذر الخاتلات الناعسات من عيون الأزهار .

العشب والزهر كأطفال خرجوا في صباح عيد ... والصبح ممشوق القوام ، واضح الجبين ، والليل فاتن الملامح...

إخلع نعليك وسر حافياً على جسم أمك ، وتمسح فيها حتى يجددك مس الحياة الجديدة .

لاعب إخوتك الصغار الذين تفتحت عنهم الأكمام ، وقذفتهم الأرحام ، ونسجتهم ظلمات الأرض ، ولونتهم أضواء السماء ، وخذ لشفتيك قبلات من المواليد الجديدة .

إفتح حواسك جميعاً ليدخل شباب الدنيا إلى نفسك ، واختزن في قلبك قوت سنة من الحياة والجمال .

إملأ عينيك بالأضواء والأصباغ ، وأذنيك بالأغاريد والموسيقى السائلة الذائبة في الأجواء والأنهار .

ضاعف إحساسك بالحياة وتيقظ ، واخلق لنفسك أعصاباً جديدة ثم امنع فكرك عن الدوران في الأرقام والحروف والعفونات القديمة ... وألق كل قديم من قلبك وتجدد ... وافتح فؤادك الجائع الذي لا يمتلئ ، فإن كل هذا الجمال والحياة له ...

أنظر إلى الربى والوهاد والتلاع والسهول والأغوار ، تجد الزينة والأعلام في كل مكان ... ما تركت السحب مكاناً بدون أن تفرشه بالسندس والأقحوان ، وما تركت النسمات مكاناً بدون أن تمر عليه منبهة ما فيه إلى وجوب الطاعة لحركة الحياة بالتمايل والحفيف والتصفيق ... حتى شجرات العوسج والشوك أورقت وأزهرت !

ضع وجهك وجسمك بين الأعشاب والأزهار ... واستقبل الأنداء والأشعة ، واهدب بأجفانك كالنرجس ... ودر بعينيك مع الشمس « كعبَّادها » ، ودع النحل والفَراش تقبل فاك وعينيك ... وارسل نفَسك نديًّا خافتاً بسيطاً بدون تعقيد ليحمله النسيم مع العطور ... ثم لا تفكر ! حتى لا تحترق أوراق الورد ، وتختنق أنفاس النسيم .

وانظر إلى المطفلات من البهائم ، وإلى أطفالها بحنان ، وهي ترعى سعيدة تخضم نبتة الربيع ثم تخور وتجتر حالة ...

فإذا جاء الليل فاخرج إلى الحدائق المعلقة في السماء ، وانظر فيها حالماً ساهماً تحت ضوء القمر الباهت ، ودر بعينيك في نفسك وفي أغوار الأزل والأبد . فلعلك أن ترى هناك الربيع الدائم ...

نعم . فليس قلبك قانعاً بهذه اللحظات الفانية من ربيع الأرض ... إن قلبك ليس ورقة من ورقات الأشجار تخرج ناظرة ساهمة بلهاء ، ثم تفارق الكون مكرهة إلى غير رجعة . بل هو عقدة ثمرة خالدة في الربيع الخالد الذي لا يحرقه صيف ولا يحوله خريف إلى هشيم تذروه الرياح وتلوى به الصبا والدبور إلى الدثور .

ولئن عز عليك أن تفنى بين يديك وأمام عينيك أرواح الأزهار الأرضية ، وتتساقط أجسادها جثثاً بالية ناصلة الألوان مسلوبة العطر ... فانظر إلى حدائق السماء ذات الزهور الخالدة التي تصل إليك ألوانها وعطورها من بعد . وتعزَّ بهذا البقاء عن ذاك الفناء . وكن على يقين بأن قلبك مخلوق دائم لهذا الربيع الدائم الذي تراه فوق في الحدائق المعلقة ...

« بغداد — الرستمية » عبد المنعم خلاف

أعلام الأدب

يوريبيـــدز

نشأته وشبابه

الأستاذ دريني خشبة

في غار جميل غير موحش، مشرف على بحر الأرخبيل، فوق تلعة من تلاع جزيرة سلاميس، كان يأوى ألمع رجالات الأدب، وأعظم أعلام المسرح: يوريبيدز بن منسارخيدز ... يقرأ، ويكتب ... ويتأمل.

وُلد في فِلْيا[1]، في واد يعبق بالورد، وتظله أفنان الدوح وتغنى فيه البلابل ... ثم اختلفوا في العام الذي وُلد فيه فقالوا: إنه عام ٤٨٠ ق . م ... أي عام سلاميس، وأنه توفى سنة ٤٠٦ أي في العام نفسه الذي توفى فيه سوفوكليس.

ويعتبر تقويم المؤرخ اليوناني (فيلوخورس) المسمى (التقويم الأتيكي)، والذي وضعه في القرن الثالث قبل ميلاد المسيح، عمدة المؤرخين الذين ترجموا ليوريبيدز، ومن أشهرهم المؤرخ اللاتيني سويداس[2]

وتقويم فيلوخورس في اليونانية، يشبه تقويم القلقشندى المسمى (صبح الأعشى) في العربيـة، وذلك من حيث عنايته بإيراد المعاهدات السياسية والكتب التي كانت يتبادلها الملوك اليونانيون ... ثم هو يشبه تقويم النورى المسمى (نهاية الأرب) وتقويم ابن فضل الله العمرى المسمى (مسالك الأبصار)، وذلك من حيث عنايته بوصف أحوال اليونانيين من مواسم، وأعياد، وعادات ومعتقدات، ومن حيث عنايته بتأريخ رجالاتهم من ساسة وقادة وفلاسفة وأدباء.

وقد ذكر فيلوخورس أن يوريبيدز قد ولد عام سلاميس، أي سنة ٤٨٠ ... على أن الرخامة التذكارية التي اكتشفت في جزيرة باروس في القرن السابع عشر الميلادي، والتي أقيمت

(١) Phlya وقد رجح الأستاذ ج . ا . بركراس (المجلد الثاني ص ٣٩٦) أنها Philea وذكر أنها جنوبي شرقي إيكاريا في طريق صنيوم — وهي ضاحية من ضواحي أثينا

(٢) القرن العاشر الميلادي

ثمة تخليداً لذكرى يوريبيدز سنة ٢٦٤ ق . م تذكر أنه إنما ولد سنة ٤٨٤ ... وقد فضل الأستاذ جلبرت موراي[1] — وعليه جل اعتمادنا في هـذا البحث — الأخذ بهذا التاريخ، لأنه اعتبر الرخامة دليلاً مادياً لاسبيل إلى دحضه ولا مُسوّغ لإنكاره.

ولم يذكر المؤرخ اليوناني (ساتيروس) (أواخر القرن الثالث ق . م) شيئاً في كتابه (حياة يوريبيدز) عن هذا التاريخ.

أما الكتاب فهو محادثات جيلة بينه وبين سيدة لم يذكر لنا من هي، وهو مع ذاك مؤلف جليل فيه عرض وفيه تضمينات، وأقاصيص ونقد، وفيه أخبار ساعدت المتأخرين على معرفة الكثير مما تبعثر أوضاع من درامات يوريبيدز.

أما أبوه فقد كان رجلاً ذا مال من رجال الطبقة الوسطى من أهل فليا، وكان رئيساً لسدنة هيكل أبوللو

وكانت أمه (كليتو) من أسرة نبيلة عريقة ذات محتـد، ولا عبرة لما ذكره عنها أرستوفان من أنها كانت تبيع الفجل والخس والخضر في شوارع أثينا؛ فقد كان أرستوفان هجاء مقذعاً، وسنعرض لما كان بينه وبين يوريبيدز من عداء وبغضاء ... ثم هي كانت أمًّا وفيـة مخلصة لابنها، حدبة عليه، وكان لها أكبر الأثر في تنشئته. وسترى من روائع هذه الأمومة آثاراً طيبة في كثير من دراماته

وكان يوريبيدز سيئ الحظ في حياته الزوجية. ولم يذكر التاريخ لماذا كان كذلك ... فقد كانت زوجته الأولى (ميليتيه) من عنصر كريم وذات خلق طيب؛ بدليل أن أرستوفان نفسه لم يجد ما يقدح به فيها، وهو العدو اللدود الساخر الذي كان يتسقط ليوريبيدز كل منقصة

وقد تزوج يوريبيدز مرة ثانية فلم يكن أكثر توفيقاً ... وربما كان هو نفسه أصل الداء ... فقد كان أديباً عظيما وشاعراً عبقريًّا؛ وكان فيه انقباض عن الناس وبغض شديد للضوضاء والصخب، وكان يقضي أكثر وقته في غاره المقدس المشرف على البحر يقرأ أو يكتب أو يفكر ويتأمل ... وهذه حال من الزوج لا تطيقها الزوجة ولا تصبر عليها ... والأدب الذي أكثره فكر وفلسفة يدل على ما في صاحبه من صرامة وشموس ... لهذا كان الشغب الطويل بينه وبين كل من زوجتيه، وهو شغب جميل

(١) في كتابه الجليل (يوريبيدز وعصره) طبعة هوم يو نفرستي

أفاد الأدب وأفاد المسرح، لأنه بدا في أكثر ما ألف يوريبيدز ... ثم هو شغب خلق من يوريبيدز عدوًّا للمرأة شديد النقمة عليها، كما خلق له من الأثينيات أعداء أشد عليه نقمة وأكثر لددا

أما أبناؤه الثلاثة[1] فقد كان أحدهم تاجراً، وكان الثاني ممثلاً؛ أما ثالثهم وكان يسمى باسم أبيه، فقد كان شاعراً يحترف التأليف للمسرح، وقد أخرج ثلاث درامات من تأليف أبيه بعد موته نالت إحداها جائزة

ولعل أكثر ما نعرف من نشأة يوريبيدز أنه كان يساعد أباه في سدانة الهيكل صغيراً، وأنه كان رياضيًّا ماهراً شابًّا، وأنه عمل في الجيش فترة لا هي بالقصيرة ولا هي بالطويلة ... وقد تكون حقبة قصيرة بعد سنتي الإجبار يقال إنه عمل أثناءها مجدفاً في إحدى جندولات الأسطول، ثم التحق بإحدى الوظائف القنصلية فترة قصيرة بعد ذلك

أما أصدقاؤه فكان أحبهم إليه أبو زوجته، ولذا كان ألصق به من كل شخص آخر إلا من خادمه أو ناموسه سفيسون الذي لم يكن يبرح منزله إلا لماماً

ومع شدة غرام سقراط العظيم بيوريبيدز فلم يؤثر أن شيئاً من وشائج الصداقة انعقد بينهما، مع أن الفيلسوف الفذ لم يكن يذهب إلى المسرح قط إلا ليشهد درامات يوريبيدز، فيروى أنه كان يتجشم في سبيل ذلك ما ليس يحتمله إلا الأشداء الأقوياء، فكان يمشي الأميال والأميال لكي يصل إلى المسرح ويستمتع بما تفيض به قريحة فخر الشعراء الدراميين كما كان يسميه. هذا ولم يعقد أفلاطون في محاوراته الشائقة حديثاً ما بين الرجلين، على شدة إعجاب كل منهما بالآخر واعتباره إياه أعظم ذهن يعيش في عصره

وعلى شدة كراهية يوريبيدز للاختلاط بالناس فقد كان له أصدقاء قليلون معجبون به من رجال الفن والفلسفة والأدب، وإليه يعود الفضل في نبوغ الموسيقار الخالد تيموتيوس الذي أوشك مرة أن ينتحر لإخفاقه في توقيع إحدى مقطوعاته لولا أن نشر عليه يوريبيدز ظله، وأخذ يشجعه ويبعث فيه روح الأمل، حتى نبغ نبوغه العظيم.

(١) أورد موراي أسماءهم في كتابه عن الأدب اليوناني ص ٢٥١ طبعة أبلتون

ومن أصدقائه زعيم السفسطائيين بروتاجوراس (أبديرا ٤٨٠ـ ٤١٠ ق. م) الذي كان يتجول في الأقاليم اليونانية يحاضر الناس ويعلمهم دروسه في السياسة والاجتماع، ويحارب أوثانهم ويسفه معتقداتهم حتى إذا انتهى إلى (فليا) وعرف يوريبيدز، وخلبه بيانه وسحرته دراماته بما تفيض به من ثورة ونقد لزمه وقرأ في بيته كتابه (في الآلهة) الذي ينكر فيه ذوات أرباب الأولمب « لأني لا أستطيع أن أثبت وجودهم أو أن أنفيه للعوائق الجمة التي تحول دون المعرفة الصحيحة، والتي من أهمها غموض الموضوع وقصر عمر الإنسان! »

وقد ثار الناس ببروتاجوراس وأحرقوا كتابه جهرة في أوسع ميادين أثينا، ورموه بالإلحاد، وكادوا يفتكون به لولا أن فر في سفينة إلى صقلية غرقت به في الطريق. وعزا الناس غرقها إلى غضب الآلهة وحنقها عليه . . . ويبدو أنه كان متأثراً بسوفوكليس حين جعل محور فلسفته الإنسان مقياس كل شيء.

أما الفيلسوف الكبير أناجزاجوراس فقد كان أستاذ يوريبيدز وصديقه في وقت معاً. وأناجزاجوراس هو أول من حمل الفلسفة من شطئان إيونيا في غرب آسيا الصغرى إلى أتيكا أرقى أقاليم اليونان. وهو أول من ثار على الفلسفة المادية البحتة ولفت الناس إلى القوة العليا التي تدبر كل شيء وتسهر على كل شيء ... ثم هو الذي أربك الماديين بتفريقه بين المادة المجسدة التي زعموا أنها كل شيء، وبين العقلية المجردة التي زعم هو أنها تسيطر على كل شيء. فوضع بذلك الحدود بين الجسم والعقل وبين الطبيعة والإنسان[1]

وقد كان أناجزاجوراس صديقاً لبركليس العظيم ومستشاراً له، وكان في أثينا حزب يناوئ بركليس، فاستغلت السياسة الذميمة مذهب الرجل الفلسفي فرمته بالإلحاد واتهمته بالتجديف على الآلهة، وكادوا أن يبطشوا به بعد أن لفقوا له التهم وساقوه إلى المحاكمة أمام هيئة قضائية من رعاعهم ... لكن بركليس لم يتخل عنه، بل دبر له الهرب من أثينا، فارتحل إلى موطنه في آسيا الصغرى حيث وضع رسالته في فلسفته التي انتفع بها سقراط

بهذين الرجلين، بروتاجوراس وأناجزاجوراس، تأثر

(١) اكتفينا من فلسفته بما له علاقة بالأدب ونذكر أنه أول من أثبت أن القمر لا يضيء بنفسه بل بانعكاس أشعة الشمس عليه، وأنه أول من أثبت أن المادة لا تفنى وإنها لا تزيد ولا تنقص، وأنه أول من عرف سبب الخسوف والكسوف، وقد كان أثينيا لاسرافه في الفصل بين المادة والعقل

يوربيدز ... ولم يكن تأثره بهما هيناً يسيراً ، بل كان أثرهما فيه كبيراً بالغاً : فقد عرَّفه الأول ما في أسطورة الآلهة من سَخَف وتخريف ، وعرفه الثاني أن ليست المادة في هذه الدنيا كل شيء ... زيف له الأول أسطورة الآلهة فذهب إلى غاره الجميل الهادئ المشرف على البحر من ربوة في جزيرة سلاميس يفكر ويتأمل ويتبسم ... يتبسم لأنه يتذكر حاله في شرخ شبابه إذ يكلفه أبوه سادن أبوللو بحمل الكأس الإلهية في الرقصة المقدسة ، رئيساً لفريق حاملي الكؤوس من سادة الشباب الأثينيين ... ثم يبتسم أيضاً لأنه يتذكر حاله حينما كان يحمل الشعلة المقدسة في موكب أبوللو عند رأس زوستر ، فيظل يتهادى كالظبي من ديلوس إلى أثينا ، مشتركاً في زهو وخيلاء في حماقة البشر وخرافة الآلهة

وزيف له الثاني تلك المادة المجردة التي يعكف عليها الناس ويفنى فيها الفلاسفة أحلامهم ، ثم يُصوّر له القوة العليا المدبرة ، والعقل المجرد الجبار ، فيلتفت إلى ما ركب في صميم الإنسان من قوى خارقة تستطيع أن تصنع كل شيء وتستطيع أن تتغلب على كل شيء ، فيذكر هذه الأيام العبوس القمطرير التي اضطر فيها شيوخ الأثينيين وعجائزهم وأطفالهم — وهو منهم — إلى الهجرة من أثينا إلى جزيرة سلاميس وغير سلاميس ، لأن إجزرسيس عاهل فارس وطاغية البربر قد أقبل بخيله ورجله ، وملأ البر والبحر بعساكره ، وراح يهلك الحرث والنسل ، متقدماً نحو أثينا ... وها هو ذا يحرق الدور والمعابد ويخرب كل شيء ... وها هي ذي ألسن النيران تلتهم الأكروبوليس الشاهق ، ويوربيدز الطفل يشهد المنظر المروع الموحش فيمن كان يشهده من الأطفال والشيوخ والعجائز ... ويبكي كما كان يبكي هؤلاء لما يصنع الطاغية بوطنهم الجميل الضعيف ، ومعابدهم الخالية الخاوية ... وآلهتهم ... نعم آلهتهم ... تلك الأوثان التي لم تغن عنهم ولا عن أنفسها شيئاً ... ثم يتصايح الناس من كل فج ، ويتسامعون فرحين مستبشرين ، فيعلمون أن أسطولهم الضعيف البائس قد مزق أساطيل إجزرسيس ، وأن أجنادهم الجائعة المنهوكة قد فتكت بأجناد جبار الفرس ، وأن أثينا وحدها ... أثينا الديمقراطية الحرة العالمة الأدبية المتحدة قد بطشت بالجبابرة العتاة الطغاة فخلصت هيلاس من شرورهم ... ويقبل تيمستوكليس قائد اليونان المجرب المنتصر فيقول للناس : « تالله ما نحن صنعنا كل هذا ! » فيحفظ الناس قالته ، ويحفظها يوربيدز حين يكبر ، ويتذكرها حين يلقى الفيلسوف أناجزاجوراس ويتأثر بفلسفته فيعرف لماذا غلبت أثينا فارس ، وكيف عصفت المعرفة بالجهل ، والنظام بالتبربر ، والعمل بالمادة ...

لقد كان محور فلسفة بروتاجوراس كلمته الخالدة : « الإنسان مقياس كل شيء » ، كما كان محور فلسفة أناجزاجوراس أن المادة ليست كل شيء في الوجود ، بل إن فوق المادة قوة أرفع منها وأسمى لأنها مسلطة عليها تدبرها وتوجهها ... تلك القوة هي العقل في الإنسان والقوة المدبرة في الوجود ... إذن فليع يوربيدز كل هذا ، وليطبقه على ماضيه الفعم بالعبر ، وليهزأ هو أيضاً بالآلهة بعد أن كان يحمل الخمر المقدسة والشعلة المقدسة في مهرجان أبوللو . ولا يكتفي بالسخرية بالآلهة . بل يشتط فيحطم أوثانها ويغضب عُبّادها ، وليخسر الجوائز السنية التي يسيل من أجلها لعاب الأدباء ، ولينل من هذه الجوائز أربعاً فقط في حياته العامرة التي جددت الأدب ، وثبتت دعائم المسرح ... وليضحك حين ينال سوفوكليس عشرين جائزة أولى وثلاثين من الثواني لأن سوفوكليس لا يجرح كبرياء الجماهير ويترفق بآلهتهم ولأنه لا يعنى إلا بفنه ، في حين يعنى يوربيدز بالغاية والمثل الأعلى .

لقد كان يحب الفن ويشغف به مثل سوفوكليس . وكاد يكون فناناً مثله لولا أن ساق إليه القدر هذين الصديقين . يروى أنه كان قد شدا شيئاً من النقش في الصغر ؛ ويروى أنه كان يعجب بمشاهد مآسي فرينيخوس ، ولم يكن قد شب عن طوقه بعد ؛ ويروى أنه كان يقف ، إذ هو غلام مسبوهاً أمام روعة المناظر التي صورها بولجنوتوس فوق جدران الأكروبول ؛ ويروى أنه شهد درامة الفرس لإسخيلوس ولم يعد الثانية عشرة . ويذكرون أنه أعجب بدرامة (سبعة ضد طيبة) ، وتأثر بها كثيراً ولم يعد السابعة عشرة . وهو ولا شك قد شهد كل مآسي زميليه بطلي الدرام العظيمين .

هذا هو شباب يوربيدز وهذه هي نشأته ، وهؤلاء هم بعض أساتذته وأصدقائه ، وتلك هي العوامل التي كونته فجعلت منه أديباً وفناناً وشاعراً وفيلسوفاً ومبشراً بالأدب الرومانتيكي ، ثم الأدب الواقعي .

دريني خشبة

بمناسبة ذكرى جمال الدين الأفغاني

إنما ينهض بالشرق مستبد عادل

للدكتور محمد قرقر البهي

لكي نتعرف هذا المبدأ أو هذه الحكمة التي قد يخيل إلينا أنها طابع لنزعة لا تتلاءم وأساليب الحكم في المدنية الحديثة، ومع ما يسعى إليه الفرد من حرية، يجب أن نبحث الدوافع التي حملت حكيم الشرق وباعث نهضته السياسية في القرن التاسع عشر على أن ينادي بهذا المبدأ بعد اعتقاد جازم به، ثم نبحث كذلك مدى علاقة الحكم الفردي بالشورة التي هي أساس الحكم الديمقراطي ومدى علاقته كذلك بالحرية التي يسعى إليها الإنسان

جمال الدين لم يعتقد هذا المبدأ بناء على شغفه بالبحث النظري، ولم تمله عليه رغبة علمية مجردة عن مراعاة الواقع، وإنما هي التجارب وأحوال الشرق في ذلك الوقت التي قادت تفكيره وأوحت إليه بهذا المبدأ العملي

جمال الدين رأى تفرق الأمم الشرقية ليس بعضها عن بعض فحسب، وإنما الأمة الواحدة موزعة إلى شيع وأحزاب، رأى المصالح الشخصية هي التي تملي على القائمين بالأمر في ذلك الوقت قواعد السياسة في الحكم وتصريف أمور الشعب. رأى أن الأمة لم تعرف بعد ما يسمى «بالصالح العام» أو كما يقول عنه الفلاسفة «مبدأ حيوية الدولة واعتبارها الكائن الحي الأعلى الذي يندمج فيه كل الأفراد». رأى تدخل الأجانب في سياسة الشرق الإسلامي كله وإذلالهم شعوبه على يد أفراد من بنيها لقاء تلبية بعض رغبات شخصية أو ضمان سعادة مؤقتة لهؤلاء. رأى تفكك أواصر القرابة وتحكم الظلم في الطبقات الفقيرة.

كل هذه العوامل أو هذه المشاهدات لم تترك في نفس جمال الدين أثراً من الشك في وجوب معالجة أحوال الأمم الشرقية والنهوض بها. ولكن على أي أساس؟ بالتربية؟ نادى بذلك منذ فارق بلاده في رحلاته إلى الهند، وتركيا، ومصر، وبالأخص هنا في القاهرة منذ أن عاد من مقر الخلافة العثمانية في ٢٢ مارس سنة ١٨٧١. فقد مكث يحاضر في الأزهر مرة، وفي تلاميذه الأخصاء مرة أخرى، ويحملهم على الكتابة في الصحف ونشر الدعوة مدة ثماني سنوات (١٨٧١ — ١٨٧٩) ولكن بعد ما تبين له أن عوامل الانفكاك داخل الشعوب الشرقية تتزايد، والمصلحة الخاصة للأفراد يتفاقم أمرها في الأداة الحكومية صمم على الدعوة[1] إلى حكومة يديرها فرد عادل يمت إلى الأمة بنسب قوي، بنسب الدم والدين حتى يجمع شتاتها، ويوحد كلمتها، ويوجه أحزابها المختلفة إلى غاية واحدة (الصالح العام) وجهر بها في باريس من على منبر «العروة الوثقى» في سنة ١٨٨٤ وأيد حكومة هذا الفرد العادل في كل تدبير تتخذه للوصول لهذا الغرض حتى استعمال العنف والشدة ولكن بعد التبليغ والإرشاد

جمال الدين لم يشجع استمرار حكم الفرد العادل، وإنما جعل ذلك لأجل معين، وهو الوقت الذي تنضج فيه الأمة وتعتقد بمبدأ «الصالح العام».

وربما يبدو في عصرنا الحاضر — وإن رأينا أن هذه الدوافع التي حملت جمال الدين على النداء بهذا المبدأ ما زالت باقية — أن هذا الذي ذهب إليه فيلسوف الشرق من سيطرة حكومة الفرد العادل ردحاً من الزمن لا يتفق ومبادئ الديمقراطية التي سعت إليها الشعوب منذ القدم ووصلت إليها بدم الثورة الفرنسية وأصبحت أساس الحكومة الراقية، أساس الحكومة العادلة

ولكن ما هي تلك المبادئ؟ حكومة برلمانية وضمان حرية الفرد. هاتان الظاهرتان هما عنوان الديمقراطية ولا يتحقق وجودهما في ظل حكومة الفرد العادل. هكذا يزعم من يدعي أن جمال الدين الأفغاني لم يقدر حقوق الإنسان الطبيعية تقديراً دقيقاً يوم نادى بهذا المبدأ

ولكن أحقاً أن الحكومة البرلمانية تمثل الديمقراطية؟ وأن حرية الفرد مكفولة فقط في ظل النظام البرلماني؟ . لنتبين ذلك! إن أساس النظام البرلماني هو المبدأ الحزبي، وعلى الدعاية الحزبية وما تتضمنه من الوعود للطبقة الشعبية يكون نجاح الحزب

(١) الجزء الثاني من تاريخ رشيد رضا صفحتي ٢٩٨، ٢٩٠

ودرجة تمثيله داخل البرلمان .

ثم صاحب الأغلبية لأنه مظنة العدالة طبقاً لكثرة الأصوات التي أخذها وهو الذي يتولى رياسة القوة التنفيذية . هل لنا أن نتأكد الآن أن صاحب الأغلبية يبني تصريف أمور الدولة على أساس مشورة كل أتباع حزبه واحترام رأي كل منهم في تقرير مصير الأمور ؟ وهل نضمن أن كل نائب من نواب حزب الأغلبية يصدر في مشورته هذه عن رعاية المصلحة العامة دون تدخل العاطفة الحزبية أو ما يؤمله من قضاء مصالحه الخاصة على أساس طاعته لقيادة الحزب طاعة عمياء ؟ وإذا افترضنا ذلك فهل نتأكد أيضاً أن الدعاية الحزبية التي أتت بالأغلبية قد أتت كذلك بصالح عادل ، وهو زعيمها ، يسير في حكومته طبق ناموس العدل ولو النسبي ولا يراعي العصبية الحزبية أو ما يسمى «بالمحسوبية» ؟ وعلى جواب هذا السؤال تتوقف المقارنة بين حكومة الفرد العادل وبين الحكومة البرلمانية في نسبتهما قرباً وبعداً من « الديمقراطية » التي تقوم على رعاية المصالح العامة ممن يحسون بإحساس الشعب ويعترفون بما للطبقة الشعبية من حقوق طبيعية في هذا الوجود على الأقل كغيرهم من الطبقات الأخرى

كذلك يجب علينا أن نعرف : هل حرية الفرد مكفولة في ظل النظام البرلماني فحسب دون حكومة الفرد العادل حتى يكون الحكم على ما رآه جمال الدين واعتقده من مبدأ بأنه يتفق أو لا يتفق مع ما تصبو إليه الشعوب من حكومة راقية عادلة . لهذا يجب أن نحدد أولاً : ما هي الحرية ؟ أهي الفوضى واستباحة الحرمات والخروج عن قوانين الجماعة والعرف والنيل من كرامة الآخرين وشرف الذين لا حول لهم ولا قوة ؟ أم هي التمتع بالحقوق الفطرية في ظل العرف والقانون ، في ظل مراعاة الحرمات وتقدير كرامات الآخرين ؟ لا أظن أن أي عاقل يشجع على أن يكون المعنى الأول مفهوماً « للحرية » كما لا أظن أن هذا الذي ذكر ثانياً على أنه مدلول « الحرية » يفنى في ظل حكومة الفرد العادل

إن صلاحية أي أسلوب من أساليب الحكم نسبية ، تتوقف على أحوال الأمة وعلى درجة تطورها الاجتماعي والخلقي ،

من رحاب الهدى

أذاع المتحف المصري حديثاً في أنحاء العالم من خلال بوقين أحدهما من الفضة ، والآخر من النحاس ، هما من مخلفات توت عنخ آمون . وقد كانت هذه الإذاعة أول صوت يخرج منهما منذ ثلاثة آلاف عام . قرأت هذا الخبر في الصحف كما قرأه الناس . وجاء الليل فتخيلت هذين البوقين قد أعيدا إلى مكانهما بالمتحف ، وقد سكنت الأصوات ، ونامت الكائنات ، فإذا هما ينهضان مستويين كأنهما ثعبانان ، وجعلا يتحادثان :

البوق الفضي — عجباً ! ما هذه اللغة التي خرجت من فمي اليوم ؟

البوق النحاسي — إنها لغة غير مفهومة لعلها لغة بعض العبيد أو الأسرى الذين نأتي بهم إلى أرضنا من آن لآن

البوق الفضي — نعم . إنها ~~ليست لغة توت عنخ آمون~~ ! لكن كيف سمح الحراس للعبيد والأسرى أن يحملونا ويدنسوا أفواهنا برطاناتهم !

البوق النحاسي — هذا ما يثير دهشتي

البوق الفضي — يا للعار ! فمي الفضي يخرج منه مثل هذه الرطانة ! هذا لم يحدث لي قط قبل الآن !

البوق النحاسي — وأنا لم يقع لي مثل هذا قبل اليوم قط !

البوق الفضي — وبعد . أنذعن لهذه الكارثة ؟!

البوق النحاسي — لا . لا ينبغي أن نذعن

البوق الفضي — وماذا نستطيع أن نفعل ؟

البوق النحاسي — نستطيع أن نصيح وأن نرفع أصواتنا في أرجاء المكان ساخطين متضرعين ، طالبين صيانة حرمتنا وكرامتنا . فلا ينفخ فينا بعد الآن نافخ بغير لغة توت عنخ آمون . فمن أجلها صنعنا ووجدنا . فلتخرس أفواهنا إلى أبد الآبدين ، إذا نطقت بغير لغة توت عنخ آمون !

البوق الفضي — وإذا أجبرنا على النطق بغيرها ؟

البوق النحاسي — حقت اللعنة على من يجبرنا على ذلك !

وذهب من أمام عيني شبح البوقين . وثبت إلى نفسي وأنا أقول : « أهي لعنة أخرى كلعنة المومياء ، ما زال أمرها خافياً على العلماء ! » .

توفيق الحكيم

فكما أن الحكم البرلمانى ليس المثل الأعلى على الإطلاق كذلك الحكم الفردى ليس عنوان الظلم دائماً وإهدار الحريات

وقد كان جمال الدين « حكيما » إذ ربط أسلوب الحكم بأحوال الأمة الخاصة بها وعلق تطوره أو تغييره بتغير تلك الأحوال

فالتعصب للحكم البرلمانى بدون قيد ولا شرط ، ورمى حكم الفرد بالجور بدون قيد ولا شرط ، غلو فى الخيال وإيمان غير محدود بالنظر المجرد عن حقيقة الواقع ما دامت العدالة ليست رهينة أحد النظامين على الإطلاق

محمد غرفد البهى
دكتور فى الفلسفة وعلم النفس من جامعات ألمانيا

من أدب الغرب

للأستاذ فليكس فارس

الشاعر الإيطالى ليونلو فيوى ، من أشهر حملة الأقلام فى هذا العصر . وقد أوقفه كبار النقاد فى أوربا والعالم الجديد إلى جنب جبرائيل دانونزيو فى تاريخ آداب القرن العشرين

إن ليونلو فيوى يكتب وينظم باللغتين الإيطالية والفرنسية ، وله مؤلفات وترجمات عديدة فى التاريخ والعلم والأدب ؛ وهو يصدر فى باريس منذ تسع سنوات مجلته «دانتى» باللغة الفرنسية ، وهى منتشرة بين الطبقات المثقفة ويكتب فيها عدد من أشهر رجال العلم والأدب

وقد أصدر ليونلو أخيراً ديواناً من الشعر المنثور باللغة الفرنسية بعنوان « صدر عن الأرخبيل » كان له دوى فى عالم التجديد الأدبى ، وترجمت منه قصائد إلى لغات عديدة . وقد رأى أصدقاء الشاعر أن قصيدة « نذر » من الديوان قد اختارها عدد وفير من المترجمين فاستكملوا ترجمتها إلى ست وعشرين لغة منها الصينية واليابانية والأرمنية والتركية. وقد طلب إلينا أن ننقل هذه القصيدة إلى اللغة العربية ، فنزلنا عند إرادة اللجنة التى تولت نشر هذا الديوان لقصيدة واحدة وقد أرسلته إلينا فرأينا أن نقدم لقراء الرسالة ترجمتنا آملين ألا نكون قصرنا فى هذا المضمار الذى تسابقت فيه لغات الدنيا فى معرض البيان . ولعلنا أثبتنا أن أم اللغات هى المجلية بما فيها من مرونة وجزالة وبلاغة تقتنص المعانى فتوردها بروعة تفوق روعة أصلها

نذر

ما تجلَّيتِ لى ولن تتجلى إلا كلمح السراب ؛ لذلك أتوق إلى أن أقيمك تمثال عذراء ، أيتها الزنجية ، أسوة بالأقدمين من أبناء إيطاليا الذين كانوا يُبدعون من نساء أحلامهم رسوماً يناجيها المتعبِّدون

إنَّ أمنيتى هى أن أطبع على رافدة هيكلٍ فى « المارتينيك » صورة عينيك المتوهجتين بلمعان الماسة الربداء لأقف أمامهما متوسلاً بغير لغة الكلام ، وقد أشجانى الاضطراب ، أن تقرّ عيناى لحظة عليهما . فأجيل ناظرىَّ على غدائر شعرك الجعد الفاحم المنعطف كالجدول إلى ما وراء أذنيك وأرسم منشيْ أنفك الخافقين كأنهما جناحا طائر صغير ، وكأنهما ينفتحان برعشة الشهوة لاستنشاق عطور جزيرتك المسكرة هابة من منابت الكاكاو والروم والفانيلا

لأبذلنَّ كل ما فى الوله من عناية فى اختيار العنبر لأمدّه أظلالاً فأداعب إهابك حين أرسمه غضًّا ناعماً كأن عليه زغبَ الثمرةِ الندية فتبدين فتَّانة القوام باسطةً ذراعيك بمعصميهما الضامرين

وعند ما أستنفد ما على لوحة الألوان فلا أجد ما أرسم به لين طفولتك ، وهى كأنها تأود القصب النديّ فى جزيرتك ؛ ويمتنع علىّ رسم ما فى صفاء فطرتك وعطفك وذكائك من غوامض الفتنة ، لن يسعنى وقد خاننى الفن إلا أن أعتصر على الرافدة آخر ما احتبس فى قلبى اليائس من قطرات شوقه وإلهامه

وإذا ما أتممت هذه الصورة المنذورة أسارع إلى رفعها على هيكل من هذه الهياكل الصغيرة المشرفة على غابات القصب المزهرة وعلى مراوح الموز الوسيمة ؛ عندئذ أجد مكافأتى فى تعبُّدى لعذرائى الزنجية ، فأسجد أمامها صامتاً خاشعاً والغسق يمد أظلاله على الأشجار الباسقة التى لا اسم لها كأن الغسق ليلٌ ثان ينتشر على ظلمات الغاب فى بلاد الهجير حين تهتاج الصراصرُ مرسلةً أزيزها فى الليل فتجاوبها الحُباحبُ بأشعةٍ لا عِدادَ لها كأنها قطراتُ ندًى تلتمع فى ليلة مقمرة

* * *

دراســــات فى الأدب

للدكتور عبد الوهاب عزام

(تابع)

(ج) ومن المؤثرات فى الأدب الحرية :

وإنما يترعرع الأدب فى ظلال الحرية ، فإذا منع البغىُ أمة أو طائفة أن تُبين عن آرائها وعواطفها وتعرب عن آلامها وآمالها ، لا يزدهر فيها الأدب

وإذا اشتد الحجر على أمة فانبرى جماعة من أبنائها يجاهدون فى حريتها ويجالدون جبابرتها لم يكن لهم بدّ أن يتخذوا الأدب القوىّ لبث الدعوة وإيقاظ النفوس وتنفيرها من الذلة وحفزها إلى الإقدام ومجادلة الخصم بالحجة البالغة والبرهان الدامغ ، فينشأ لهم أدب حىّ قوىّ . ولا يزالون فى جهادهم حتى يدال لهم فتسع الحريةُ الأمةَ كلَّها ، وتنشط النفوس للإبانة عن سرائرها والإعراب عما فى ضمائرها . وأدب المجاهدين فى كل عصر من أروع أنواع الأدب لأنه أدب النفس الإنسانية وهى تدفع عن كيانها ، وتجادل عن حياتها

فالحرية العامة والجهاد لها من أجدى الأمور على الأدب

وإذا نظرنا إلى الأدب فى فرنسا قبل الثورة وأثناءها وبعدها ، وإلى الأدب فى تركيا قبل مئة سنة والأدب فيها حين الجهاد للحرية كشعر نامق كمال وأمثاله ، ثم الأدب فى الثلاثين سنة الأخيرة ؛ وإذا نظرنا أيضاً إلى الأدب فى مصر قبل عشرين سنة وإلى الأدب فيها اليوم عرفنا فرق ما بين الحرية والعبودية ، وما يجدى الجهاد للحرية على آداب الأمم .

وكم أنتج جدال الأحزاب السياسية من خطب ومقالات لها فى الأدب أثر لا ينكر

والحرية الفكرية أوسع من الحرية السياسية فربما تنال الأمة حريتها السياسية ولكن يسيطر عليها أو على فرقة منها مذهب أو عادة قديمة فيمنعها بعض حريتها فى التفكير ، وانظر إلى المعتزلة والحنابلة فى تاريخ المسلمين تدرك كيف أجدت على الأدب حرية الأولين ، وجنت عليه عصبية الآخرين . وكذلك التزام موضوع أو أسلوب فى الأدب اتباعاً للقدماء يسلب الأمة بعض حريتها الأدبية ويمنعها أن تفتن فى موضوعات النظم والنثر وأساليبها

على أن الفوضى فى الأدب ، وركوب كل إنسان رأسه على غير بينة ، وحيد الناشئين عن سنن الأئمة دون بصيرة — تجنى على الأدب ، ما يجنيه التضييق والحجر ، أو شراً من ذلك

(د) الحروب :

النزاع بين فريقين يهيج كل ما عندهما من قوى نفسية ومادية ؛ وكلما كان الخطر أعظم كان الاهتمام والإعداد أكبر . وفى الحروب تتعرض النفوس والأموال والأوطان للتهلكة فتثور أقصى ما فى الإنسان من غريزة وأسمى ما فيه من عاطفة . فتدعو كل أمة أحزابها وتحرضهم على قتال العدو ؛ وإذا أتيح لها الظفر عظمت أفعالها ، وأكبرت مآثر أبطالها . وفى هذا الإعداد للقتال والتحريض عليه والتغنى بالظفر والإشادة بالبطولة مجال واسع للأدب

ومن أروع ما أنتجت الآداب القصص الحماسية : فالمهابهارتة والإلياذة والشاهنامة والقصائد الحماسية فى الشعر العربى الجاهلى

وهذه قصيدة أخرى بعنوان « مولد » للشاعر الكبير جيوفانى باسكوالى استوقفنى ما فيها من عاطفة فياضة وروعة فآثرت نقلها إلى العربية أيضاً

مولد

ثلاثون عاماً تتالت منذ ولدتنى يا أماه ، منذ آلمتك أولى شهقاتى الضعيفة بأكثر من أوجاعك الشديدة الفائرة

وغذيتنى من ثديك المتفجرين حناناً وأنت صبور تساورك المخاوف والأشجان ، حتى إذا تكامل لحمى من لحمك ودمى من دمك فأستقرّ قلبك بأكمله فى قلبى ، جاء اليوم الذى تواريت فيه منذ عشرين عاماً

وها أنذا أحاول عبثاً أن أجسّم عينيك وسيمائك لأشاهدك بخيالى . لقد أذبل الزمان ناضر تذكارى فلم أعد أعرفك يا أماه !

أما أنت فلا تزالين حيث يستقر الأموات فى مرابع الصقيع تستوقفين أحلامك لتداعب أناملك غدائر طفلك الصغير

(الاسكندرية) فليكس فارس

والإسلامى ولا سيما شعر أبى الطيب المتنبى ، وقصة عنترة وقصص أبى زيد الهلالى وغيرها كل هـذا من آثار الحرب ومآثر الأبطال فيها

(هـ) الدين :

والدين له على الفنون سيطرة عظيمة ، فهو يستولى على العقل والعاطفة فيسيرهما كما يشاء ، ويصبغ كثيراً من نتائج الأدب بصبغته . ولعل أروع أبنية العالم وأبقاها على العصور المعابد ؛ فحيثما سار الإنسان على وجه الأرض وجد علوم الأمم وفنونها وعواطفها ممثلة فى المساجد والكنائس والمعابد الأخرى

والأدب الدينى من أقدم آثار الأمم الأدبية . فكتاب الموتى عند قدماء المصريين ، وأناشيد فيدا عنــد الهند ، وسفر أيوب فى التوراة ، وأناشيد جاثا فى كتاب زرادشت الذى يسمى الأبستا ؛ كل أولئك من آثار الدين فى الأدب . وإذا نظرنا إلى الدين الإسلامى وتصورنا ما أحدثه القرآن فى الأدب العربى والآداب الإسلاميـة عامة ، وما يحدثه اليوم ، عرفنا مبلغ تأثير الدين فى الأدب ، وتصور ما أنتج الإسلام من خطب ومواعظ وقصص فى العصور المتطاولة لنعرف جانباً من تأثيره . ثم هذا الشعر الصوفى الرائع فى الآداب الإسلامية — ولا سيما الفارسية — نفحة من نفحات الدين

(و) المحاكاة :

ومما يؤثر فى الأدب المحاكاة والتقليد — تقليد أمة آداب أمة كما قلد الرومان والأوربيون أدب اليونان ، وقلد الفرس والترك وغيرهم الأدب العربى ، وقلد الترك والهند الأدب الفارسى ، وكما قلد الترك فى العصر الحديث الأدب الفرنسى وقلد المصريون الآداب الأوربية

وكذلك تقليد النابغين فى الأمة الواحدة ؛ فإذا نبغ شاعر أو كاتب حاكاه معاصروه ، ثم لم يعدم مقلداً فى كل عصر . ويكاد تاريخ الأدب يكون تاريخ النابغين فى العصور المختلفة ومن عداهم مقلدون أو كالمقلدين . فالجاحظ ، وابن المقفع ، وبديع الزمان ، وأبو تمام ، والمتنبى، لهم تأثير بين فى الأدب العربى حتى عصرنا هذا فإن فتح النابغة للناس فنوناً من الأدب الجيّد ، والأساليب الحرة كان رائد خير فى الأدب ، وكان قد سنَّ سنة حسنة لا تزال تزيد فى إحسانه على كر الأيام كما فعل ابن المقفع والجاحظ وأبو العلاء ؛ وإن سلك سبلا وعرة وخلق أساليب متصنَّعة متكلفة قد غطَّى نبوغه على عيوبها سار الناس وراءه . وربما ورثوا عيوبه دون مزاياه ، وأورثوا الأدب صنوفاً من القيود تضيِّق الأدب وتميت الابتكار فى نفوس المنشئين كما فعل مسلم وأبو تمام فى البديع ، وأبو العلاء فى التزام ما لا يلزم ، والحريرىّ فى المقامات ، وغير هؤلاء فى ضروب المحسنات التى شغلت الشعراء والكتاب عن المعانى بصناعة الألفاظ .

وكثيراً ما يخلق التقليد رجلاً فى غير عصره . كما تجد اليوم من يقلد أحد النابغين القدماء فيشبه هـذا القديم أكثر ما يشبه معاصريه . وكثيراً ما أحيا التقليد الأدب بعد موته . فتقليد القدماء من أدبائنا كان فاتحة نهضتنا الأدبية الحديثة كما كان تقليد اليونان والرومان باعث الأدب الأوربى فى عصر النهضة . فقد تخطى البارودى — مثلاً — الأجيال وحاكى الجاهليين والإسلاميين فأتى بنمط من الشعر الجزل هو خير مما كان معروفاً فى وقته ، وقبل وقته . فكان طليعة الشعراء العصريين .

(ز) والاستطراف

ومما يؤثر فى الأدب أيضاً الاستطراف أو حب التجديد ، والنزوع إلى الطريف . فى الأدب كما فى غيره طرائف (مودات) . يملّ الأديب موضوعاً مبتذلاً ، أو طريقاً مسلوكة قد سار عليها الخاصة والعامة ، ويأنف أن يكون واحداً فى هذا السواد فيسلك طريقاً آخر فى الموضوع أو البيان ؛ فإن وُفق فقد سنّ للأدباء سنة جديدة ، ومهّد فى الأدب سبيلاً محدثة . وهكذا حتى يظهر أديب آخر يمل هذه الطريقة فيحيد عنها وهلم جراً . وقد يُستطرف بعد أجيال موضوع أو أسلوب بعد أن ابتذل وهجر وهلم جرّا .

فهذا الاستطراف والاستهجان له أيضاً أثره فى تحوّل الأدب

(ح) النقد :

وأحسن المؤثرات فى الأدب وأنفعها النقد الصحيح ؛ فإن الناس يسيرون على النهج المألوف لا يرون خطأه ولا يبصرون عيبه حتى يرشدهم النُقّاد فيبيّنوا لهم الخطأ والصواب ، والرشد

والنيّ ، والحسنُ والقبيح في سيرتهم . وإذا تناول النقد مسألة أدبية كشف عن الحق فيها أو ثار حولها الجدال ؛ وما يزال المتجادلون حتى تنجلي الحقيقة من تصادم الحجج . فالنقد إيقاظ الأفكار النائمة ، وتنبيه الآراء الغافلة ، ومثار جدال تتبين فيه الحقائق إذا صحبه الإخلاص وقارنه الصدق

(ط) المكافأة :

وتحريض أصحاب المواهب على الإنتاج بالاعتراف بفضلهم والإشادة بأعمالهم أو منحهم الأموال التي تعينهم على الفراغ للأدب وإتقانه ، مما أجدى على الأدب في عصوره ، وحفز همم الشعراء والكتاب إلى الإجادة والإبداع ؛ ولذلك نرى تاريخ الأدب وكبار الأدباء متصلاً بالملوك والأمراء والكبراء الذين أثابوا القائلين على إحسانهم وحثوهم على الازدياد

وإذا نظرنا إلى تاريخ الخلفاء العباسيين وما أفادوا الأدب بمثوبتهم الشعراء والكتاب ونظرنا إلى تنافس ملوك المسلمين في الشرق والمغرب في الاستكثار من الأدباء حولهم وتزاحم ملوك الطوائف في الأندلس على الاستئثار برجال الأدب — عرفنا كيف يُجدي التحريض والمكافأة على الآداب . وحسبنا أن نتذكر ازدحام الشعراء والأدباء حول سيف الدولة الحمداني حين رأوا فيه أميراً ألمعيا وفتى عربيا يجزل الثواب ويسخو بالمال

هذه من أسباب تغيّر الأدب . والباحث في الأدب العربي يستطيع أن يتبينها في أطوار كثيرة منه ؛ فإذا بحثنا في صور الأدب العربي في الجاهلية وما فعل بها الإسلام ، ثم نظرنا إلى شعر الفتوح الاسلامية ، وشعر الوقائع العربية ، والمذاهب السياسية ، وعصبيات العدنانيين والقحطانيين ، ثم عصبيات العرب والعجم ، ومدائح الخلفاء والأمراء ، وتهاجي الشعراء ، وما نشأ في الدولة العباسية من ضروب في النثر والشعر وأثر اختلاط الأمم ، والترجمة عن اللغات المختلفة ، وقرنا شعراء المشرق بشعراء مصر والمغرب والأندلس ، واستعرضنا بعض الحادثات السياسية والاجتماعية في هذه المواطن ، ودرسنا تاريخ النابغين المجددين ... الخ . وجدنا في كل هذا تطبيقاً لما ذكر من مؤثرات الأدب

عبد الوهاب عزام

الدعوات المستجابة ...

للشاعرة أيلا هويلر ولككس

للآنسة الفاضلة « الزهرة »

استمنحتُ الثروة ، فُمدّتْ لي أكنافُ التوفيق ، وأسبغت عليّ آلاء النوال الطائلة ، وتحوّل كلُّ ما لمسته يداي إلى ذهب إبريز ... ولكن ... وا حسرتاه ! لقد تضاعفت همومي ومتاعبي ، وتناقصتْ راحتي ورفاهيتي ، حين فلج سهمُ طلبتي ، وزكا منبتُ رجائي ، وأخصب زرع ابتهالي ...

* * *

استوكفتُ المجد والعزّ ، فسمت ذكري يشيّع بالحمد ، ويذيل بالثناء ، من الولدان الروقة الميامين ، الذي لحظهم الفلك بعنايته ، ووسمهم الكمال بنهايته ؛ ومن الشيب السارين في طريق الرشد ، بمصباح الكبر ، المتحلين بأبهة الحنكة وشيمة الوقار ، الجامعين بين قوة الشباب واستحكام التهذيب والتحليم وتناهي الخلال . ولكن ... أوّاه ! أوّاه من الآلام والخسار والمضار التي تجيء في مواكب الشهرة . حقاً ، إني لم أكن سعيدة إذ ذاك ...

* * *

اجتديتُ الحبَّ ، وركبتُ إليه ظهور التوسل والضراعة ، ففاز قلبي بمبتغاه ، واغتبط بنجيح مسعاه ، وعاد بمصداق أمانيه ؛ ولكن لهب نيران الحب الآكلة اندلع إلى قلبي المتضور ، وجسمي المنهوك . وتلذع أوراها في عقلي المتلظي . بيدَ أنها قد كبتْ ، ولم يبقَ منها إلا ما غادرت في القلب والجسم والعقل جميعاً ، من وسوم لفحها وسفعات حروقها ...

* * *

اتصلتُ ببابه تعالى ، ونزعتُ إليه برجائي ، أن يمنحني عقلاً راضياً قانعاً ... وأخيراً ! بزغ على قتام روحي المكتئبة نور عظيم ، وغمرني أمنٌ تام ، واطمئنان كامل . ووردت عليّ قوة جلّى استأنفتْ نشاطي ، وشدتْ عزمي ، وشرحت صدري . فياليتني كنتُ التمست هذه الطلبة الغالية قبل كل طلبة أخرى .

(الزهرة)

يوم وقعت الواقعة ...!

للأستاذ علي الطنطاوي

أما رثاء الفقيد، وبيان جلال الرزء فيه، ومبلغ الحزن عليه، فتلك أمور كبرت عن أن يحيط بها (نظم من الشعر أو نثر من الخطب)، وبعُد منالها عن كاتب مثلي قصير القامة واليدين، فليكن همي أن أروي (ما رأيت وما سمعت)، ولقد رأيت عجباً وسمعت أعجب منه، وشاهدت أحوالاً ربما ظنها القراء الذين هم في غير بغداد مبالغة من نسج الخيال، ولكن الله يعلم وأهل بغداد يشهدون أن الذي أقوله حق كله، وأني ما زدت فيه ولكن نقصت منه، وأني لو ذهبت أزيد فيه ما استطعت ولا بقي للخيال بعد الذي كان مجال

* * *

والذي رأيت أني نزلت من (الأعظمية) مبكراً على عادتي، فلم أر على الطريق ما أنكر إلا حركة عند (البلاط) ما ألقيت إليها بالاً، حتى إذا شارفت المدرسة (ومدرستنا في ظاهر بغداد قريبة من باب المعظم) رأيت طائفة من الطلاب مجتمعين يتهامسون، ولكن الوجوه غير الوجوه، فلما أبصروني أسرعوا إلي يسألوني عن (الحادثة)، فقلت وأنا خالي البال: أي حادثة؟ إني ما سمعت بعد بشيء!

قالوا: لقد شاع في البلد أن الملك ...

فاضطربت وتوقعت أن أسمع عنه نبأ لا يسر. ولقد أحببت الملك منذ شهور خلت حبًّا شديداً لم أكن أحبه من قبل مثله، وصرت أرى فيه معقد الأمل وباب الرجاء، فلما قال التلميذ ما قال خفق قلبي من توقع المكروه، وحب الاستطلاع، وروعة المفاجأة، وما يصيب المرء في العادة في موقف مثل هذا، وصحت بالولد أسأله: أن ما للملك؟ وبالغتُ في الصياح حتى روّعتُه، وأثرت أحزانه، فقال متعذراً يجرّ الحروف من فيه جرًّا:

— يقولون إنه ... قد مات!

فقلت: أعوذ بالله، اسكت ويحك، إن هذا كذب، فلا تنطق به ...

وأسرعت إلى المدرسة، والطلاب معي، وأنا أرجوهم يرجون أن يكون الخبر كذباً. وثبت بعض الطلاب قائمين على الطريق ينتظرون مرور الملك كما يمرّ كل يوم. فلما بلغنا المدرسة وجدنا كل من كان فيها من مدرسين وطلاب قد سمعوا الذي سمعنا، وهم بين مصدق ومكذب، ومرت ساعة ونحن على هذه الحال من القلق نسأل كل آت فلا نلقى عنده جواباً، ونستخبر الهاتف: (التلفون) فلا نسمع خبراً. ثم أبصرنا علم الثكنة العسكرية التي أمامنا قد نكس، وجاءنا الأمر بتنكيس العلم، وجمع الطلاب في غداة الغد للتشييع ...

فعلمنا أن الناعي قد صدق، وأن الأمل قد خاب!!.

وخرج المدير وهو الرجل القويّ المكتمل الرجولة ليعلن الأمر. فما تمالك نفسه أن بكى وهو ينعى لشباب المدرسة (الغربية المتوسطة) سيد شباب العرب. وما أمسك الطلاب أنفسهم أن يصيحوا: (وهم ثمانمائة شاب يعدون مثال النظام) صيحة واحدة، وأن يبكوا بنحيب وعويل، وأن يمزق بعضهم ثيابه، وأن يغمى على بعض وما أكتم القارئ أني حسبت ذلك رياء وتصنّعاً، وكرهته أول الأمر، واشمأزت منه نفسي، ولكني ما لبثت أن أيقنت أنه حق وصدق، وأن منشأه هذا الحب العجيب للملك الجندي، وهذا الحزن البالغ على وفاته الفاجعة ...

وخرج الطلاب بعد ذلك، وخرجت على الأثر. فما دنوت من (باب المعظم) حتى سمعت نواح النساء ونحيبهنّ، ورأيت الميدان كله ممتلئاً بالناس، يتدافعون ويستبقون إلى البلاط باكين مفجوعين. مشهد لتحزن ما أحسب أن أروع منه يكون! فخالفت الجماهير، وقصدت شارع الرشيد، فلم أبلغ (الصابونية) حتى رأيت مئات من النساء، تحكي ثيابهنّ ومظاهرهن الغنى والحشمة، وهن ينشدن شعراً عامياً، أو شبه شعر، ما فهمته ولكن تبينت فيه ذكر غازي وشبابه الغض، وذكر الموت ... وكلما قلن بيتاً لطمن وجوههن بشدة، وبكين بحرقة وألم ... فما رآهن أحد إلا بكى أشدّ بكاء؛ ورأيت من بعد آلافاً من الناس قد حملوا شاعراً عامياً فهو يقرأ لهم شعراً كله تفجع وألم، وهم يلطمون ويضربون صدورهم

أو يشيرون باللطم ، فلم أطق السير ولا الشهود فلت إلى المدرسة (الثانوية) وكانت خالية مقفرة ، وعلى بابها علمان متشحان بالسواد، فغادرتها أفتش عن أخي أنور العطار. فما هي حتى جمعني الله به. فقلت له: إن السير في شارع الرشيد مستحيل ، والصبر على رؤية هذه المواكب الباكية أشد استحالة ، وحسبنا ما في نفوسنا من الألم ، فهلمّ بنا إلى الدار (في الكرخ) فإنها أهدأ . ورأى ما رأيت ، فسرنا نؤم الجسر ، وكان اليوم عاصفاً مخيفاً ، والنهر مضطرباً مرعباً ؛ كأن الطبيعة قد روّعها من النبأ ما روّعنا ؛ ففقدت هي أيضاً اتزانها وهدوءها ، فما ظننا والله إلا أن الجسر منقطع بنا ، لما كان يضطرب ويرقص ، وتلعب الرياح والمياه بالعوامات التي يقوم عليها ، ولكن الله سلّم فبلغنا الكرخ ، وإذا بالكرخ قد نشرت الأعلام ، أعلام (السباية) السود ، ودقت طبول المأتم وخرج أهلوها على بكرة أبيهم ، مواكب مواكب : النساء ينحن ويلطمن الوجوه ، والرجال ينشدون ويضربون الصدور ، وقد [illegible]وا وتكشفوا فعل المتهيئ للصراع، حتى رأيت الصدور وهي من [illegible]مرار كأنما هي دامية. والأطفال، يالله ما فعل الأطفال! لقد تعروا مثلما فعل الرجال ، وطفقوا يضربون صدوراً علم الله أنها ما تحمل الضرب ولا تطيقه ... وكانت المواكب في كل شارع ، وفي كل زقاق . فكلما تركنا واحداً منها اصطدمنا بآخر ، حتى أزمعنا آخر الأمر أن نعود إلى جانب الرصافة من الجسر الآخر ، فما بلغناها حتى رأينا فيها ما أنسانا فعل أهل الكرخ ، وكان كل موكب يحمل صورة للملك الشاب مجللة بالسواد ، وينشد أشعاراً لم أحفظها ولكني فهمت منها كثيراً . فما فهمت مقالة قوم :

الله أكبرْ ياعربْ غازي انفقدْ من دارهْ
واهتزتْ أركانْ السماء من صدمةِ السيّارهْ

وقول قوم ما معناه : قولوا لفيصل في القبر يستقبل وليده ... في أشعار كثيرة هذا سبيلها ، ولعل القراء لا يدركون قوتها ووزنها ، لأني لم أحسن كتابتها ونقلها ، ولكنهم لو سمعوها من أفواه أصحابها ورأوا بكاءهم ، وشاهدوا صدورهم المحمرّة ، لعرفوا أيّ شيء هي ، ولعلموا أن بغداد تعرف كيف تفرح وكيف تغضب وكيف تحزن !

ومن أعجب ما شاهدت فتيات المدارس وهن يلطمن وجوهاً يؤذيها اللمس ، ويدميها النسيم ، لا يشفقن على أنفسهن ، ولا يفتأن ما سرن يبكين ويُبكين ، وياليتني فهمت ما كنّ يقلن فإنه أشجى وأعجب مما كان الرجال يقولون !

* * *

وبقيت المدينة على هذه الحال إلى صباح اليوم التالي ، إلى ساعة التشييع التي أعلن العجز عن وصفها . فلما تم الدفن ، وأودع الثرى الملك الشاب الذي كان يفيض قوة وحياة، وحوّمت الطيارات الوطنية تحمل شارات الحزن السود الطوال على الملك الطيّار ، وانطلقت المدافع تعلن انتهاء الدفن ، وأيقن الناس أن المصيبة قد تمت ، وأن الرجاء قد امّحى ، أفاقوا كمن يفيق من نومة مزعجة رأى فيها الحلم المروّع ، فيرى الواقع أشد إزعاجا وترويعاً ، فأسلموا الأمر إلى الله ، وصمتت هذه الألسن التي طالما أنشدت ورثت ، وتفجعت ، وجفت هذه الدموع التي طالما جرت وذرفت ، وانفضت هذه الجموع واجمة ما فيها من يتكلم أو ينبس ، وفي القلوب نيران تتأجج ، وبين الأضالع اللهيب يستعر ، ولم تسكت آخر طلقة من طلقات المدافع التسع والتسعين ، حتى عمّ المدينة صمت عميق ، وغدت كأنها قبر واحد ، قبر غازي الملك الحبيب الذي أمّ الناس قصره قبل عشرة أيام مهنئين بالميلاد السعيد ، فانصرفوا الساعة من زيارة قبره الجديد ، مودعين حبيباً لن يروه إلى يوم القيامة ...

وهمس رجل ، فسار الهمس على كل لسان :

رحمة الله على غازي ، ولفيصل ابنه التوفيق والسعادة والحياة !

« بغداد » علي الطنطاوي

المدرســـة الابتدائية
وتعليم اللغة الأجنبية
للأستاذ عبد الحميد فهمى مطر

تعليم اللغة الأجنبية فى مدارسنا الابتدائية مشكلة من مشاكل التربية والتعليم التى برزت اليوم أمام وزارة المعارف فألفت لدراستها لجنة برياسة حضرة صاحب العزة الوكيل المساعد . وقد رفعت هذه اللجنة تقريرها عنها فى الشهر الماضى ، ولا زال هذا التقرير بين يدى معالى الوزير لبحثه ودراسته قبل البت فى أمره . وبالرغم من أن هذا الموضوع كان من بين المشاكل الكثيرة التى عالجتها فى مؤلفى الجديد « التعليم والمتعطلون فى مصر » فقد رأيت أن أفرد له بحثاً خاصاً يذاع على صفحات الرسالة الغراء لأنه أصبح مشكلة الساعة ؛ ولا يصح أن يقطع فيه برأى إلا بعد دراسة مستفيضة ، فجدير بكل ذى رأى أن يدلى فيه برأيه ، وجدير برجال التعليم جميعاً أن يبحثوه وحداناً وأن يمحصوه زرافات وجماعات حتى يتبين أولو الأمر أوجه الخير والشر فيه ، ويتعرفوا أوجه المصلحة العامة فى جميع نواحيه .

ولا يسعنا أن ندلل على أهميته وأهمية غيره من مشاكل التربية والتعليم عندنا إلا بتلك الكلمة الخالدة التى قالها المغفور له جلالة الملك فؤاد الأول طيب الله ثراه ، إذ قال : « إن أم المسائل فى مصر مسألة التربية والتعليم . فلو أن كل مصرى وضع فى تشييدها لبنة لأقمنا للوطن صرحاً يبقى ما بقى الزمان » . ولا غرو فى ذلك لأن مسائل التربيــة والتعليم لا تتعلق بأفراد أو بطوائف معينة فحسب ، ولكنها تتعلق بكل منزل وكل أسرة ، وتتعلق بأبناء هذا الوطن جميعه بنين وبنات ، فتيان وفتيات ؛ ففيها جماع مشاكل الأمة أو هى تشمل مسائل الأمة جمعاء

ولقد أصبح لزاماً علينا بعـد أن أخذنا الأمر كله بيدنا ألا نتعصب لأنفسنا ولا أن نتحزب لقديمنا بل يجب علينا أن نفتح عيوننا لكل ما يجرى عندنا وعند غيرنا وأن نتعرف سريعاً شذوذنا وأخطاءنا وأن نعمل بحزم وهمة ونشاط على التخلص مما تتعثر فيه معاهدنا من شذوذ وأخطاء . لعلها هى السبب الأساسى فى تعثر شبابنا وتنكبهم الطريق السوى وانحطاط مستواهم الخلقى والعلمى عن مستوى غيرهم ممن يتعلمون بين ظهرانينا تعلماً أجنبياً يصحبه نجاح فى الحياة مضمون وحظ موفور . فلقد جاء فى محاضرة الأستاذ الغطريفى رئيس مكتب تخديم الشبان بوزارة المالية التى ألقاها قريباً بمدرج دار العلوم أنه لا ينجح من شباننا المتعلمين بمعاهدنا الحكومية ممن يتقدمون للخدمة فى الأعمال الحرة كأعمال الشركات والبنوك إلا واحد من كل ثلاثة عشر مرشحاً بينما يؤخذ الباقون من الشبان الذين تعلموا فى معاهد أجنبية . فهلا يحق لكل مفكر أن يتساءل ويبحث عن أسباب كل هذا الإفلاس ! لا شك أن ذلك راجع إلى نقص جوهرى فى تربيتنا وتعليمنا . فلقد ذكر حضرته أيضاً أنه حتى هؤلاء القليلين الذين تأخذهم الشركات للعمل فيها تشكو تلك الشركات سوء نظام الكثيرين منهم وقلة اكتراثهم بالمسئولية وقلة اهتمامهم بالمواظبة والمحافظة على المواعيد الخ الخ

فبين معاهدنا إذن عيوب أساسية كثيرة تستدعى التفكير والعمل ، وتستدعى التغيير والتبديل ، وتستدعى وضع سياسة تعليمية قوية يسير الجميع من رجال التعليم على هديها . ولعل من أبرز العيوب وأقوى الشذوذ فى نظم تعليمنا قيام المدرسة الابتدائية إلى اليوم بجوار المدرسة الأولية والمدرسة الإلزامية والمعهد الدينى الابتدائى وجمعية تحفيظ القرآن الكريم الخ مما يشتت أبناء البلد الواحد فى أنواع مختلفة من المعاهد ذات طرائق مختلفة ومذاهب مختلفة وثقافات مختلفة ! فالمدرسة الابتدائية بما فيها من لغة أجنبية هى ذلك السد المنيع بين المدرسة الإلزامية والأولية من جهة ، وبين المدرسة الثانوية والعالية من جهة أخرى ، مما لا مثيل له فى ممالك العالم أجمع ! ونتيجة ذلك أن الطالب المتفوق بين جدران مدارسنا الإلزامية والأولية إذا تعدت سنه العاشرة (وكثير من التفوق لا يظهر إلا بعد هذه السن) استحال عليه إتمام تعليمه تعلماً مدنياً لأن المدرسة الثانوية لا تقبل أحداً من طلابها إلا عن طريق المدرسة الابتدائية حيث اللغة الأجنبية مادة أساسية فى جميع سنى الدراسة فيها ، وفى إقفال أبواب المدارس الثانوية أمام طلاب المدارس الأخرى عدا الابتدائية مضيعة للتفوق والمتفوقين من أبنائنا الذين بدؤا السوء الحظ حياتهم التعليمية فى مدارس التعليمين الإلزامى والأولى ، وقضاء على ذوى الملكات الطيبة منهم وإهدار الكفايات لو استثمرت لجلبت كثيراً من الخير على مصر والمصريين . فما السر يا ترى فى وجود هذا السد المنيع الحاجز للمتفوقين

من طلاب التعليمين الالزامى والأولى عن التعليمين الثانوى والجامعى ! هذا السد قد أوجدته السياسة العتيقة من عهد قديم . حتى لا يقوى على ارتقائه إلا العدد القليل من الذين كانت تعدهم المدرسة الابتدائية للعمل فى دواوين الحكومة بدليل ذلك التقرير الذى رفعه سنة ١٨٨٠ على باشا ابراهيم ناظر المعارف إلى مجلس النظار (الوزراء) وقد جاء فيه :

« إن التعليم الابتدائى قليل الاتساع لأنه لم ينشر فى أية جهة بين الأهالى ما خلا المحروسة . وهذا لا يسمح للمدرسة التجهيزية بانتخاب تلامذة نجباء ومستعدين للتعليم التجهيزى ويترتب على ذلك أنه لا يوجد إلا عدد قليل من التلامذة الضعفاء جداً الخارجين من الدراسة التجهيزية فتجبر المدارس العالية فى أكثر الأحوال على قبول تلامذة لم يستوفوا الحالة التجهيزية اللازمة، ويستمر هذا الخلل عند خروج التلامذة بعد انتهاء مدة الدراسة ، ودخولهم فى الوظائف العمومية الخ . »

لهذا وجدت قديماً المدرسة الابتدائية إذن على غرار المدرسة الأوربية ولبس أبناؤها الملابس الأوربية ، وتعلم أبناؤها اللغة الأوربية، وكانت فرنسية فى بادىء الأمر، ثم انقلبت بعد الاحتلال إلى انجليزية واستمرت إلى اليوم ! كل ذلك فى سبيل إعداد أبنائها لرغد العيش فى وظائف الحكومة بين جدران الدواوين ! فلم يكن إذن الغرض من وجودها تثقيف أبناء الشعب أو إعدادهم للحياة العامة ، لأن المدرسة الشعبية أو الكتاب قديماً والمدرسة الإلزامية أو الأولية حديثاً هى التى تقوم بإعداد أبناء الشعب لحياة الشعب ! وإذن فقد وجدت المدرسة الابتدائية بما فيها من ميزة وهى اللغة الأجنبية لتفصل طبقة الموظفين ولترفعهم إلى مكان خاص بل إلى مركز خاص يمتاز بميزات خاصة عن مركز أبناء باقى الشعب ، فهى إذن السد المنيع بين أبناء الشعب وغوغائه وبين أبناء سادة الشعب وحكامه ! وهى إذن السد المنيع بين الديمقراطية والارستقراطية! فهل يصح أن يبقى هذا السد إلى اليوم بعد الوضع الذى أصبحنا فيه ؟ هل يصح أن يبقى هذا السد بين أبناء أمة حطمت قيودها وقالت بملء فيها إنها أصبحت أمة ديموقراطية ينص دستورها على المساواة بين الجميع فى الحقوق والواجبات ، وعلى أن الأمة مصدر السلطات ؟ ألا إن بقاء المدرسة الابتدائية بعد هذا يعد مهزلة بين الديموقراطية والديموقراطيين إن كانوا جادين

(يتبع) عبد الحميد فهمى مطر

استطلاع صحفى

مدرسة الهندسة التطبيقية

بمناسبة عيدها المئوى

لمندوب الرسالة

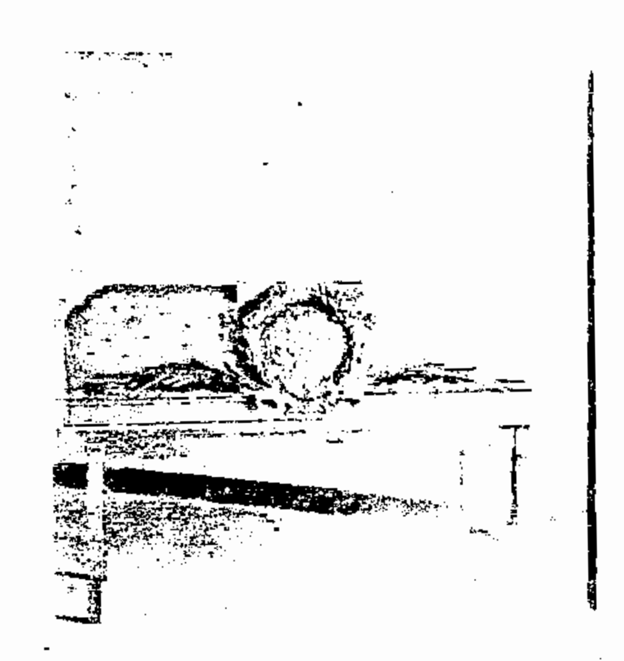
« ينتظر أن يتفضل حضرة صاحب الجلالة الملك بتشريف العيد المئوى لمدرسة الهندسة التطبيقية وافتتاح مبانيها رسمياً فى ٢٨ ابريل الجارى. وقد أسسها المغفور له محمد على باشا الكبير فى مارس سنة ١٨٣٩ وسماها مدرسة العمليات لتعد الطلبة للاعمال الصناعية التى تحتاج إليها البلاد . ولكن الزمن غدر بها إذ أقفل عباس باشا الأول جميع معاهد العلم ومن منها إلى أن أعاد فتحها سعيد باشا باسم مدرسة العمليات أيضاً . ثم تغير اسمها فأصبح مدرسة الفنون والصنايع ، وتغير مرة ثالثة فأصبح مدرسة الهندسة التطبيقية »

غمرساء تتكلم

فى مواجهة المدخل الرئيسى لمدرسة الهندسة التطبيقية نافورة جميلة الصنع من حجر الجرانيت الأسود ، وفوق الباب تاج أسود يضم بين ثناياه قطعة مستطيلة من النحاس الأصفر يرى الناظر فى وسطها أنواطا يرجع تاريخها إلى سنة ١٨٧٣ ، إذ أهديت إلى المدرسة من بعض المعارض الدولية . وعلى جانبي الباب مدفعان ضخمان يبدو عليهما القدم ، ويظهر فى بنائهما بساطة التركيب ، ولونهما أسود أيضاً . فإذا سألت عن تاريخ هذين الأثرين أجابك محدثك : « رأيتهما عند ما التحقت بالمدرسة سنة ١٩٠٤ » . فإذا حاولت المزيد فلن تصل إلى نتيجة صحيحة . فالمدرسة قديمة العهد استنشقت النسمة الأولى للحياة فى شهر مارس سنة ١٨٣٩ فعمرها الآن مائة عام وإن كان عمر مبانيها بضعة أعوام

تدخلها فإذا هى بنت اليوم . فحجرات الدراسة فيها على أحدث طراز ، ومعاملها ومصانعها مجهزة بأحدث الآلات . ولكنك بين هذه المظاهر المتعددة تلمس القدم فى كثير من حجراتها إذ ترى آثار الماضى فى لوحة قضى الزمن على ذكرياتها ، أو تجد صورة إسماعيل باشا وهى تحمل اسم صانعها وضريبة الزمن على ألوانها .

وأقدم من هذا أن تجد لوحة باسم ابرهيم باشا ، وكتب تحت الاسم ١٢٠٤ — ١٢٦٥ .



لوحة تذكارية لابراهيم باشا كتب عليها تاريخ ميلاده وتاريخ وفاته

فإذا سألت عن تاريخها قابلك محدثك بألفاظ تفهم منها : « لا أعرف » . فإذا رجعت إلى كتب التاريخ ، وقابلت بين السنة العربية والأفرنجية وجدت ١٢٠٤ = ١٧٨٩ ، وسنة ١٢٦٥ تقابل سنة ١٨٤٨ والأول هو تاريخ ميلاد ابراهيم باشا ، والثاني هو تاريخ وفاته فى نوفمبر من تلك السنة . فهل تشك بعد هذا فى أنها لوحة تذكارية لتخليد ذكرى ذلك البطل الفاتح ؟ وهلا تأسف بعد هذا أن تجد لوحة تذكارية تحتاج إلى ما يذكرنا بها؟ ولكنها ضريبة الزمن وضريبة حياة المكاتب التى يعيشها موظفونا بل ومعلمونا ، أنستنا لا لوحاتنا التذكارية فحسب ، بل أيضاً تاريخ هذه اللوحات فأصبح سرها فى بطون المقابر بدل أن يحيا فى أذهان الناس وقلوبهم. فهذه المواد الخرساء عاشت على رغم إهمالها فتكلمت عن ماضينا ونددت بحاضرنا إذ كشفت جهلنا الفاضح .

حياة عملية

والحقيقة أن هيئة التدريس بالمدرسة أجهدت نفسها لكشف تواريخ هذه الآثار، إلا أن كل من قابلناهم من طلبة المدرسة القدماء لا يذكرون من أمرها إلا أنهم التحقوا بالمدرسة فوجدوها . وهم يؤاخذون لأنهم تجاهلوها منذ ذلك التاريخ فلم يهتموا بأمرها ولم يسألوا عن سبب وجودها . ولو اهتم أحدهم بالسؤال عنها وقتئذ لكانت هذه الآثار أكثر أهمية مما هى الآن . فإن قيمة الأثر تزداد كلما زادت معلوماتنا عنه وتقل كلما قلت . وإذا كنت أحب أثراً فإني أحبه لأنه يرجع بى إلى الماضي فيعطيني صورة ذهنية لما كان يحدث فى تلك الأيام سواء أكانت قريبة أم بعيدة .

ولعل أساتذة هذه المدرسة كانوا فى شغل عن تتبع هذه الذكريات بما عهد إليهم من عمل . فالحياة فى هذا المعهد خليط من النظريات العلمية والخبرة العملية . وهى تشغل فى عهدها الجديد مساحة ثلاثين فداناً منظمة على أحدث نظام ومعدة بأحدث الآلات. ويمكننا أن نقسمها إلى ثلاثة أقسام : الورش والمعامل وحجرات الدراسة . وقد أعدت جميعها على آخر طراز بحيث يتخرج الطالب من المدرسة وهو معد بكلا السلاحين العلمى والعملى .



طلبة قسم المساحة يرسمون إحدى الخرط
ويرى بعضهم وهم يرصدون الأبعاد بآلة دقيقة

ففى الورش يجد الطالب المجال متسعاً أمامه ليتقن الصناعة التى ارتضاها لنفسه . وفى حجرات الدراسة يجد النظريات العلمية التى يمكنه أن يستفيد منها فى مهنته . وفى المعامل يجد الآلات الكيميائية والطبيعية معدة للبرهنة على النظريات التى لم تطبق بعد فى الإنتاج الصناعى كما يستطيع أن يجرب — إذا شاء — لينشر على الناس ما هو خير من الأساليب المستعملة فى الإنتاج الصناعى الآن

مصنع مستقل

وفى تلك الورش يعمل الطلبة بأيديهم . ففى قسم العمارة يمسك الطالب بأدوات البناء ويقيم الحائط تبعاً للرسم المعطى له ، فإذا كان



هذه الآلة الدقيقة من صنع طلبة المدرسة
ويرى فى الصورة الأستاذ وهو يراقب تركيب أجزائها

تمرينه فى عمل نقوش من الجبس أو المصيص قام بتلك العمليات بنفسه . وما يحدث فى قسم العمارة يحدث فى غيره من الأقسام ، إذ يباشر الطلبة بأنفسهم تطبيق العلم على العمل ، ولذلك يلبسون أثناء العمل فى الورش ملابس خاصة وهى عبارة عن سترة بيضاء لتقى ملابسهم الاتساخ

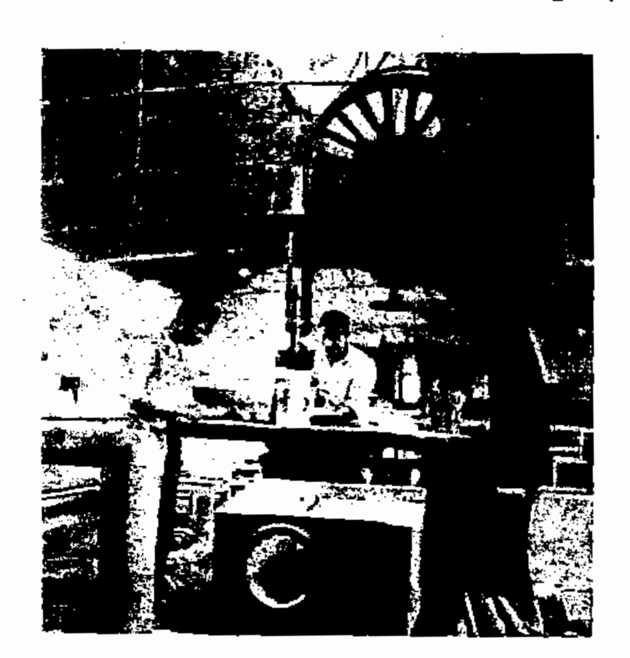
وهذه الورش فى مجموعها مستعدة لصنع أية آلة يطلب عملها ففى « ورشة السباكة » مثلاً يستطيعون تشكيل أية قطعة معدنية كما يريدون، والطريقة المتبعة لذلك أن يصنع للآلة رسمها بأبعاده ومقاطعه على الورق ؛ ثم يوكل إلى طلبة اختصوا بصناعة النماذج الخشبية فيصنعون أدوات الآلة من الخشب بطريقة خاصة ، فإذا انتهى نجار النماذج ذهبت القطع الخشبية إلى السباك فوضعها فى نوع خاص من التراب بحيث يتشكل برسمها ثم ينزع الخشب ويصب فى الفراغ المعدن المطلوب صنع الآلة منه

وتنتقل المواد بعد هذا إلى أقسام البرادة والخراطة وغيرها حيث تتولى تلك الأقسام تنظيف الآلات مما علق بها من زوائد معدنية ، ثم تعد بما يتفق والرسم المطلوب . وعلى وجه الاجمال فإن جميع أقسام المدرسة تعمل فى صناعة هذه الآلة لاختلاف نوعها وتركيبها، فهى تبدأ من المكتب حيث يضع المهندس رسمها الميكانيكى وتمر بأدوار عدة إلى أن تصل إلى وضعها النهائى الذى يعدها للاستعمال

وقد قامت المدرسة بصنع عدة آلات ، ففى إحدى السيارات ركب الطلبة بدلاً من المحرك العادى آلة ديزل ، وهم يقولون إن ذلك يوفر كثيراً من أثمان استهلاكها للوقود . فإن آلة الديزل تشتغل بالغاز الوسخ وفرق كبير بين ثمنه وثمن البنزين . وهكذا كلما دخلت إحدى الورش شاهدت فيها شيئاً أصلياً من صنع طلبتها وحدهم ولذلك يفخرون به

فيلا ثمنها ٨٠٠ جنيه

وأراد قسم العمارة أن يتساوى مع غيره من الأقسام من حيث ابتكار الأشياء المفيدة فوضع الطلبة والأساتذة رسماً لفيللا من طابقين يتكلف بناؤها ٨٠٠ جنيه وتصلح لسكنى عائلة متوسطة ، ويشتغل طلبة قسم العمارة فى تشييدها فى أوقات فراغهم وقد تم منها حتى الآن بناء الطابق الأول وينتظر عند إتمامها أن يتولوا



تشتغل ورشة النجارة بالآلات
ويرى أحد الطلبة وهو يشق قطعة من الخشب بالنشار

تجهيزها بالأدوات الصحية وغيرها من الأثاث . ففى المدرسة ورشة نجارة كبيرة تصنع كثيراً من الأثاث ، وقد شاهدت بعض المكاتب التى صنعها الطلبة لأساتذتهم فأعجبت بما هى عليه من متانة ودقة فى الصناعة

وتحتل ورش المدرسة سداً طويلاً يليه صف المعامل حيث توجد معامل الطبيعة والكيمياء والهيدروليكا وقسم مقاومة المواد وكل هذه المعامل مجهزة بالأدوات التي تيسر للطالب فهم النظريات العلمية المختلفة كما تعطيه صورة واضحة عن أكبر الأعمال الصناعية التي أسست إذ يحتوي على نماذج مصغرة لبعض هذه المشروعات

ويحتاج الطالب دائماً أن يعرف قوة احتمال المواد التي يشتغل بها ولذلك نجد في قسم العمارة آلة يمكن بواسطتها معرفة قوة احتمال مخلوط من الأسمنت . وفي قسم السيارات آلة يقول الاختصاصيون في المدرسة إنها الثالثة من نوعها وبها يمكن معرفة قوة فرامل السيارة ومقدار استهلاكها للبنزين. أضف إلى ذلك معملا قائما بذاته اختصاصه اختبار مقاومة المواد من ضغط وشد وانحناء



يونس افندي يرشد الطلبة لتركيب أجزاء الآلات في قسم الميكانيكا

قاعة للسينما

ومدرسة الهندسة التطبيقية كما قلنا حديثة العهد بالتنظيم على الطرق الحديثة ولذلك نجدها معدة بقاعة للسينما حيث تعرض الأفلام العلمية التي تعطي للشاهد فكرة عن سير العلوم وعن تطورات بعض الصناعات . وتستعمل هذه القاعة للمحاضرات فيجتمع الأساتذة والطلبة لإلقاء بعض المحاضرات . وقد شاهدت في إحدى المرات ناظر المدرسة وهو يعرض على أبنائه أن يبدوا آراءهم في كيف يحتفلون بمرور مائة عام على إنشاء مدرستهم فكانت الروح تدل على مدى الحرية الممنوحة لهم

فقد كان عدد الطلبة كثيراً جداً ضاق بهم المدرج على سعته فكان كل منهم يدلي بما لديه من الاقتراحات ؛ وأخيراً زاد عدد الاقتراحات وتضاعف عدد المتكلمين، فاقترح عليهم ناظر المدرسة



بعض طلبة قسم السيارات منهمكين في إصلاح سيارة بإرشاد أستاذهم

أن يكتبوا ما يريدون . وبذلك ترك للطلبة أن يعدوا بأنفسهم الاحتفال المئوي لمدرستهم . وقد وكل للطلبة أنفسهم تنفيذ ذلك البرنامج وإظهار براعتهم في فن الصناعة والأعمال الإدارية مع إشراف بسيط من ناظر المدرسة الدكتور أمين سيد ومدرسيها



يشتغل هذا الطالب في خراطة ترس على الطريقة الحديثة

ويتعود الطلبة حياة الابتكار ، فإذا دخلت قاعة الرسم شاهدت مشروعات كثيرة . فهذه لناد يقترح الطلبة إنشاءه

وقد راعوا فيه أن يتناسب مع الغاية التي سينشأ من أجلها، ولذلك كان فيه قاعات كثيرة بعضها كبير والبعض الآخر صغير. وقد نجد اقتراحاً لتنظيم ميدان تتوافر فيه الأسباب الصحية مع جمال الذوق وإبراز سحر الطبيعة، فإن الطلبة يعدون الإعداد اللازم لأن يكونوا رجال عمل وأهل تفكير وابتكار وذوق حسن.

فوزي عبد الشتري

التاريخ في سير أبطاله

أحمـــــد عرابي

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصري الفلاح وأن يحدد له مكانة بين قواد حركاتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف



وفي يناير من السنة التالية صدرت من ثلاثة من الضباط على رأسهم احمد عرابي حركة أخرى كانت هي الجريئة حقاً ، حركة جرت في أعقابها حركات فكانت بمثابة الشرارة التي أوقدت النار

نمى إلى عرابي، وهو في منزل أحد أصدقائه أن وزير الجهادية قد اعتزم عزله وزميله عبد العال بك حلمي ، وعلم عرابي أن عدداً من الضباط في منزله ينتظرونه، فخف إليهم فوجدهم يعلمون ما يعلم فتشاوروا في الأمر، واختار عبد العال بك وعلي فهمي بك عرابيا رئيساً لهما ولمن يتبعهما من الضباط في حركتهم الوليدة التي دارت حول طلب عزل رفقي باشا من الجهادية ورفع الظلم عن رجال الجندية

ويذكر عرابي في مذكراته أنه بين للضابطين خطورة الحركة ولكنهما أصرا عليها فطلب إليهما أن يقسما له أن يخلصا النية ، فأقسما . ولنا أن نتساءل هنا : لم اختير عرابي قائداً لهذه الحركة دون غيره ، وقد كان فهمي على رأس حرس السراي وله صلات برجال الحاشية ، ولم يكن عبد العال دون عرابي مرتبة وخبرة ؟ إن اختيار رجل من الرجال دون غيره لقيادة حركة من الحركات أمر ينطوي لا ريب على معنى . وما ولدت الزعامات في الغالب إلا بهذه الطريقة . ففي ذلك الرجل توجد صفات يتميز بها من سواه فتجتمع عليه القلوب والأهواء في لحظة لا يكون للتنافس الشخصي فيها مجال . وهذا عندي خير مقياس للزعامة ، وبخاصة إذا كان هذا الرجل المختار معروفاً من قبل لمن يختارونه فلا يكون إقبالهم عليه إعجاباً وقتياً لا يلبث أن يتبين خطأهم فيه .

ولن يشذ عرابي عن هذه القاعدة فإنما اختاره الضباط لما عرفوا فيه من صفات الجرأة والحماسة والإخلاص ، ولما جربوه عليه من الصدق وحسن الطوية . هذا إلى أنه كان يفوقهم من ناحية لا غنى عنها لزعيم من الزعماء ألا وهي فصاحة اللسان ، فلقد كان هذا الرجل الذي جمل الجهل في مقدمة عيوبه أفصح الضباط لساناً . ولقد كانت الخطابة إحدى ملكاته حتى ليعد من أخطب رجال ذلك العهد لا في الجيش فحسب بل بين المواطنين جميعاً

أعد الضباط عريضة بمطالبهم ووقع عليها عرابي وزميلاه وذهب ثلاثتهم فرفعوها إلى رياض باشا وإنهم ليعلمون ما كان ينطوي عليه مثل هذا العمل من جرأة في ذلك الوقت، وكان عرابي هو الذي يتكلم باسم زميليه وباسم الضباط جميعاً كما كان سعد يتكلم حينما ذهب مع زميلين له في مستهل الثورة الثانية إلى مقر المعتمد البريطاني يرفع مطالب المصريين عقب الهدنة

وكان رياض يكره سياسة تقديم العرائض مهما كان من عدالة المطالب ، وكان يلقي في السجن أو يحكم بالنفي على من يخطون هذه الخطوات كما حدث للسيد حسن موسى العقاد فقد نفي إلى السودان

لأنه انتقد إلغاء قانون المقابلة على الصورة التي جاءت بها لجنة التصفية وكما حدث لكثير غيره ممن أخرجوا من مصر بسبب آرائهم الحرة

وقابل رياض الضباط مغيظاً محنقاً وخاطبهم في كبرياء وغلظة كما يقول عرابي في مذكراته فقال لهم : « إن أمر هذه العريضة مهلك وهو أشد خطراً من عريضة أحمد فني الذي أرسل إلى السودان » وكان هـذا الفتى قد نفي أيضاً لأنه طلب المساواة في المعاملة مع غيره من موظفي الديوان محتجاً على ما كان يجري من محسوبية ، ذلك الداء الوبيل الذي لا نعرف متى تتخلص هذه البلاد منه !

أما عن فحوى العريضة فإن عرابي يذكر أنه قد طالب بعودة مجلس شورى النواب إلى جانب المطالب العسكرية ، مع أن أكثر المؤرخين يذكرون أن هذا الطلب لم يأت ذكره إلا فيما بعد . ولكن عرابياً يصر على دعواه في كل ما كتب من تاريخ حياته

على أن الأمر الذي غضبت له الحكومة هو المطالبة بعزل عثمان رفقي فقد رأت في هذا الطلب نوعاً من التمرد فما دخل الجيش في سياسة الحكومة ليطالب بعزل وزير . وقد كانت الحكومة لا ريب محقة في هذا الغضب ، بيد أنها من جهة أخرى لم تسلك إزاء هذه الحركة ما كانت تقتضيه السياسة الرشيدة ، فكان عليها أن تبحث في مطالب الجيش فتجيب ما كان منها في جانب الحق ثم تقنعهم بعد ذلك بأن ليس من حقهم المطالبة بعزل رفقي

سكت رياض أسبوعين وهو يحاول إقناع الضباط لسحب العريضة وهم يصرون عليها . وغضب توفيق أشد الغضب وأشار عليه المحيطون به باتباع العنف مع الضباط ، ثم نمي إلى رياض أن سكوته قد يفسر بأنه ممالأة للجيش وعدم موالاة للخديو . ويقول مستر بلنت في مذكراته إن الخديو أراد أن ينتهز هـذا الحادث للانتقام من رياض فيوقع بينه وبين رجال الجيش .

ولما فطن رياض إلى ما قد يفسر به سكوته وافق على محاكمة الضباط ، ووقع الخديو على أمر بمحاكمتهم ، ودعي وزير الجهادية الضباط الثلاثة إلى ديوان الجهادية بقصر النيل بحجة الاستعداد لحفلات زفاف إحدى الأميرات وهناك ألقي القبض عليهم ... وبذلك تفتتح لعرابي صفحة في سجل تاريخ مصر

وكان الضباط على علم بما دبر لهم . فلم يكن من العسير عليهم في مثل ذلك الموقف أن يدركوا ما عسى أن تبيته الحكومة لهم من كيد . ولقد قيل إن قنصل فرنسا كان على اتصال بهم فأخبرهم بما عقدت الحكومة النية عليه .

واتفق ثلاثتهم مع فرقهم أن تذهب إليهم إذا تأخرت عودتهم عن ساعتين ؛ ثم ذهبوا إلى حيث طلب إليهم أن يحضروا ؛ فما كادوا يدخلون وزارة الجهادية حتى ألفوا أنفسهم بين صفوف مسلحة من الجركس فألقي القبض عليهم وسيقوا إلى السجن ثم إلى المحاكمة وقد انعقد لهم مجلس يحاكمهم برئاسة عثمان رفقي باشا .

ويحسن أن نورد هنا ما وصف به عرابي موقفهم ساعئذ قال : « ولما أقفل علينا باب الغرفة تأوه رفيقي علي بك فهمي وقال : لا نجاة لنا من الموت وأولادنا صغار . ثم اشتد جزعه حتى كاد يرمي بنفسه في النيل من نافذة الغرفة فشجعته متمثلاً بقول الإمام الشافعي رضي الله عنه :

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعاً وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكان يظنها لا تفرج

وتمثل عرابي بأبيات أخرى نسبها إلى السيدة زينب رضي الله عنها إلى أن قال : « فلا والله ما كانت إلا هنيهة حتى جاءت أورطتان من آلاي الحرس الخديو وأحدق رجالها بديوان الجهادية وأسرع بعض الضباط والعساكر فأخرجونا من السجن ، ففر ناظر الجهادية ورجال المجلس وغيرهم من المجتمعين وقصدوا جميعاً إلى سراي عابدين »

وإنما نورد ما ذكره عرابي لأنه من جهة يصور لنا جانباً من شخصيته وناحية من ثقافته ويرينا نزعة اتكاله على الله تلك النزعة التي سوف لا تنخلع عنه حتى بعد أن تنخلع عنه عزيمته في مأساة التل الكبير ؛ ثم لأنه من جهة أخرى متفق مع ما يقول الرواة فلا ضير أن نورد القصة على لسانه

« يتبع » **الخفيف**

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٣٨٩ — لو جاء في الغناء قرآن ما جاء الا هكذا

قال مالك بن أبي السمح: سألت ابن سريج عن قول الناس: فلان يصيب وفلان يخطئ، وفلان يحسن وفلان يسيء، فقال: المصيب المحسن من المغنين هو الذي يشبع الألحان، ويملأ الأنفاس، ويعدل الأوزان، ويفخّم الألفاظ، ويعرف الصواب، ويقيم الإعراب، ويستوفي النغم الطوال، ويحسّن مقاطيع النغم القصار، ويصيب أجناس الإيقاع، ويختلس مواقع النبرات، ويستوفي ما يشاكلها في الضرب من النقرات

فعرضت ما قال على معبد[1] فقال: لو جاء في الغناء قرآن ما جاء إلا هكذا!

٣٩٠ — احمد الله فقد نقهت

ابن الجوزي: مر غراب الماجن بسائل يقول: أنا عليل وأنا جائع!

فقال له: احمد الله فقد نقهت[2]

٣٩١ — يوم الأربعاء

ياقوت: لما ولي الحسن بن زيد المدينة منع عبد الله بن مسلم ابن جندب الهذلي أن يؤم بالناس في (مسجد الأحزاب) فقال له: أصلح الله الأمير، لِمَ منعتني مقامي ومقام آبائي وأجدادي قبلي؟

(١) قال اسحق الموصلي — وهو يذاكر ابراهيم بن المهدي —: هذا صوت تمعبد فيه سريج: فقال له ابراهيم: كيف يجوز ان تقول تمعبد ابن سريج، وإنما معبد إذا أحسن قال: أصبحت سريجيا

(٢) نقه من مرضه: — بفتح القاف وكسرها — نقها ونقوها: صح وهو في عقيب علته فهو ناقه ج نقه كركع (التاج) والنقاهة من مصادر نقه الحديث أي فهمه لا من مصادر الفعل المتقدم

ومن مشبهات هذه الطرفة ما رواه (النفح) وهو: خرج الأديب النحوي هذيل الأشبيلي يوما من مجلسه فنظر الى سائل عاري الجسم وهو يرعد ويصيح: (الجوع والبرد) فاخذ بيده وتقله الى موضع بلغته الشمس وقال له: صح (الجوع) فقد كفاك الله مؤونة البرد ...

قال: ما منعك منه إلا يوم الأربعاء[1] يريد قوله:

يا للرجال ليوم الأربعاء أما ... ينفك يحدث لي بعد النهى طربا
إذ لا يزال غزال فيه يفتنني ... يأتي إلى (مسجد الأحزاب) منتقبا
يخبر الناس أن الأجر همته ... وما أتى طالباً أجراً ومحتسبا
لو كان يطلب أجراً ما أتى ظُهُرا[2] ... مضمخاً بفتيت المسك مختضبا

٣٩٢ — حتى في القبور!!!

يحيى بن حكم البكري الجياني:

أرى أهل الثراء إذا توفوا ... بنوا تلك المقابر بالصخور
أبَوا إلا مباهاة وتيهاً ... على الفقراء حتى في القبور!

٣٩٣ — جهال الأطباء هم الوباء في العالم

في (الآداب الشرعية) لابن مفلح: ينبغي (للمرء) أن يستعين في كل شيء بأعلم أهله كما عليه نظر عقلاء الناس؛ لأن الأعلم أقرب إلى الإصابة. ولمالك في الموطأ: «عن زيد بن أسلم أن رجلاً في زمان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أصابه جرح، فاحتقن الجرحُ الدم، وأن الرجل دعا رجلين من بني أنمار فنظرا إليه، فزعما أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال لهما: أيكما أطبّ[3]؟ فقالا: أو في الطب خير يا رسول الله؟ فزعم زيد أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: أنزل الدواء الذي أنزل الأدواء» فأما الجاهل فلا يستعين به. قال ابن عقيل في (الفنون): جهال الأطباء هم الوباء[4] في العالم، وتسليم المرضى إلى الطبيعة أحب إليّ من تسليمهم إلى جهال الطب

٣٩٤ — الأعميان الخبيثان . . .

ابن الجوزي: أخبرنا علي بن الحسن عن أبيه قال: أخبرني جماعة من شيوخ بغداد أنه كان بها في طرف الجسر سائلان

(١) في (القاموس): مثلثة ممدودة، وفي (المصباح) بكسر الباء وبعض بني أسد يفتحها، والضم لغة قليلة فيه وفي (اللسان): والتثنية أربعاوان، والجمع أربعاوات وفي (القاموس وشرحه) أربعاءان وأربعاءات

(٢) ظهرا: حرك الظهر ضرورة

(٣) قال الجاحظ: قال شيخ من الأطباء: الحمد لله فلان يزاحمنا في الطب ولم يختلف إلى البيمارستان تمام خمسين سنة

(٤) الوباء: الطاعون، كل مرض عام، بالقصر والمد، وجمع الممدود أوبئة وجمع المقصور أوباء

أعميان ، أحدهما يتوسل بعلي ، والآخر بمعاوية ، ويتعصب لهما الناس ، ويجمعان القطع[١] ، فإذا انصرفا اقتسما القطع ؛ وكان يحتالان بذلك على الناس[٢]

٣٩٥ — فينظر أيهدى له أم لا ؟

في (كتاب الأم) للشافعي : استعمل النبي (صلى الله عليه وسلم) رجلاً من الأزد على الصدقة ، فلما قدم قال : هذا لكم ، وهذا أهدى إليّ . فقام النبي (صلى الله عليه وسلم) على المنبر فقال : ما بال العامل نبعثه على بعض أعمالنا فيقول : هذا لكم وهذا أهدى إليّ ؟ فهلا جلس في بيت أبيه أو بيت أمه فينظر أيُهدى له أم لا ؟

٩٣٦ — يا لون شعر الصبا

قال أبو بكر يحيى بن محمد الأنتقيري : كنا مع العجوز الشاعرة المعروفة بـ (ابنة ابن السكان) المالقية فمر علينا غراب طائر فسألناها أن تصفه فقالت على البديهة :

مر غراب بنا يمسح وجه الربى[١]
قلت له : مرحبا يا لون شعر الصبي !

٣٩٧ — أتتكم شهود الهوى تشهد

دخل أبو القاسم نصر بن احمد الخبزي على أبي الحسين بن المثنى في آخر حريق كان في سوق المربد ، فقال له أبو الحسين المثنى : يا أبا القاسم ، ما قلت في حريق المربد ؟ قال : ما قلت شيئاً . فقال له : وهل يحسن بك وأنت شاعر البصرة — والمربد من أجل شوارعها وسوقه من أجل أسواقها — ولا تقول فيه شيئاً ؟ فقال : ما قلت ولكني أقول وأرتجل هذه الأبيات :

أتتكم شهود الهوى تشهد فما تستطيعون أن تجحدوا
فيا مربديون ناشدتكم على أنني منكم مجهد
جرى نفسي صُعُداً نحوكم فمن أجله احترق المربد
وهاجت رياح حنيني لكم وظلت به ناركم توقد
ولولا دموعي جرت لم يكن حريقكم أبداً يخمد

(١) لم تبرح القطعة والقطع تستعملان في هذا الزمان استعمالها في القديم
(٢) وتب هذان الأعميان على تقية الجمهور تلعبا بها . وقرأ قطعه ... ورؤساء القوم مثل الأعميين :
أنما هذه (المذاهب) أسباب (م) لجذب الدنيا الى الرؤساء

(١) يجوز كتابة الألف الثالثة المنقلبة عن الواو من مضموم الفاء ومكسورها — بالياء .

الغرام الجديد

للدكتور زكي مبارك

أخي الأستاذ الزيات :

تفضلت فسألت مرة أو مرتين أو مرات عن سبب احتجابي عن قراء الرسالة، وكانت حجتي في الاعتذار أن كتاب « ليلى المريضة في العراق » لم يُبق من قواي ما أصلح معه لمقابلة الناس في جِدّ أو مزاح، وقد تلطفت فقبلت عذر أخيك، وصفحت عن تقصيره إلى حين

فما رأيك إذا حدثتك بأني كنت في نشوة شعرية لم أصح منها إلا اليوم ؟

كنت يا صديقي مشغولاً بنظم قصيدة « الغرام الجديد » وهي تقع في مئة بيت، وذلك الغرام هو يا صديقي نفحة من نفحات القاهرة في مطلع الربيع . هو ثورة وجدانية تعتاد من يفيق من غفوة القلب حين يتنسم أرواح الأزاهير على ضفاف النيل

أعاذني الله وإياك من غفوة العواطف، وحماني وإياك من الغفلة عن تنادي القلوب !

***

يا قلبُ هـذا نعيمٌ ... من الصفاء وليد
يا قلب هذا سعيرٌ ... من الغرام جديد

لقيتُه وفؤادي ... غافٍ قريرُ السرائر
فعدتُ أحيا بروحٍ ... مشرَّد الأنس حائر

مَن مُخبري عن نصيبي ... من ظلّ هذا النعيم ؟
من مخبري عن مصيري ... في لفح هذا الجحيم ؟

كيف انتهينا ؟ أجبني ... يا قلب كيف انتهينا ؟
ألنعيم وصلنا ؟ ... أم في الجحيم ثوينا ؟

وبالوصال اصطباحُك ... يا قلبُ أم بالصدود ؟
وبالسهاد اغتباقك ... يا قلب أم بالهجود ؟

يا قلبُ طالت شكاتُك ... من الخدود الأسيله
فكيف تُرجى نجاتُك ... من العيون الكحيله ؟

أحبُّ نور الضلال ... في خافيات الغدائر
ويزدهيني الخبال ... في غفيات النواظر

رباهُ ماذا تريد ... من فتنتي بالعيون ؟
رباهُ ماذا تريد ... من محنتي بالشجون ؟

أأنتَ يا ربّ راضٍ ... عن حيرتي في الهُيام
إن كان هذا فإني ... إذاً نبيُّ الغرام

عصرت راح غرامي ... من زاهرات الخدود
وكان نُقلُ مدامي ... من ناهدات النهود

يطوف بالحسن روحي ... في صبحه والمساء
فيجتني من شذاهُ ... وشوكه ما يشاء

عن أكؤسي ودموعي ... روَى رحيقُ الخلود
عن مهجتي وضلوعي ... روَى سعيرُ الوجود

عن شقوتي في هيامي ... روَى ظلامُ الليالي
وعن صفاء زماني ... روَى صفاء اللآلي

أنا الشقيُّ السعيد ... في لوعتي وشجوني
أنا الغويُّ الرشيد ... في صبوتي وفتوني

من الهوى والأماني ... ومن زهور الجنان
ومن فنون المعاني ... رسمتُ وجه الزمان

لولا غنائي وشعري ... لمات رُوح الوجود
لولا بياني ونثري ... لضاع سرُّ الخلود

في الثغر والصبح معنًى ... لمن أحبُّ شرحتُه
في الحبر والليل سرٌّ ... أظنني قد فضحتُه

السحرُ يأخذ عني ... علم اختداع النفوس
والخمر تنقل عني ... علم انتهاب الرؤوس

ما السيف في يد عاتٍ ... مضلَّل الرأي جاني
يوماً بأفتك مني ... إذا امتشقت بياني

الغيُّ لو شئتُ ركنٌ من الرشاد ركينُ
والشكُّ لو شئتُ حصنٌ من اليقين حصينُ

للعقل عنـدى فنون وللجنون مـذاهب
عنـدى بياض الصباح عنـدى سواد الغياهب

إن كان فى الناس قومٌ رأوا هـــلال السماء
فى ســـرائر قلبي والروح ألف ذُكاء

ما عندكم ؟ حـدثوني يا إخوتى فى الجنون
فبى غرامٌ وشـــوقٌ إلى حـديث الفُتون

من الذى طـاف منكم ليـــلاً بتلك المناسك
ومن هـداه هواهُ إلى ضـلال الزمالك ؟

فى ذلك الدوح غصنٌ لولا العفافُ هصرتُهُ
فى ذلك الروضُ زهرٌ لولا الحيـاء قطفتُه

أباحنى فى التــدانى والبعـد عزّ الفضيحه
وذاك لو رتضيــهِ فى الحبّ خيرُ نصيحه

لقيتُـــهُ ذات يومٍ فى العصر عنـد الجزيرة
والنيل سكرانُ صاحٍ مثل العيون الكبيرة

لقيتُ من لو دعـانى إلى الفـداء فديتُه
لقيتُ من لو دعـانى بعـد الممات أجبتُه

لقيتُ فيـه وجودى وكان بالصحو زالْ
فعـدتُ نشوانَ حيًّا أعيش عيش الضـلال

رأيتُ حين رأيتُهُ ما سوف يجنى الصفاء
فصاح روحىَ يهذى ما الحبُّ إلاَّ بـلاء

أذاك نورٌ جـــديد يلوح فى قلب شـاعر
أم ذاكَ روحٌ مَريد يصـول فى قلب ساحر

كان الفؤاد استراح من فاتكات الشجون
فمن إليـهِ أتاح كيـدَ الهوى والفتون

أو ظلال الجـزيرة وفى شعاب الزمالك
يهيم روحى ويشـقى ويلاهُ مما هنالك !

يا ليتنى ما رأيتُكْ يا أجمل الحافظين
يا ليتنى ما عرفتُكْ يا أقبح الغادرين

ما أنت والزاهرات على خـدود الملاح
يا لوعتى فى المساء وفتنتى فى الصباح

أثرتنى للصيال يا أُقْحُوان الرياض
وهجتـــنى للقتال يا أُفْعُوان الغياض

أأنت ترمى وتمضى إلى رحاب الخلاص
غرتْك نفسُك فاعلمْ أن الجروحَ قصاص

فى لحظ عينيك نبلٌ وفى عيونى نبال
ونظرةُ الليث قيدٌ لألفِ ألفِ غزال

حاول خلاصك واسلُكْ إلى النجاة المذاهب
فلن يفوتك سهمى ولو علوتَ الكواكب

الرأىُ ، الرأىُ عندى إذا نشدتَ الأمان
أن تستحيل نسيماً ونفحةً من حنان

عندى وفى ظل حبى تحسُّ روح الوجود
وفى ضريم غرامى ترى شعاع الخلود

أنا النجىُّ القريب من القلوب الشوارد
أنا الظلوم الحبيب إلى الصدور النواهد

رباهُ ما الصادحات من ضاحكات الأماني
ربـاهُ ما النائحات من شاديات المثاني

ربـاه ما الشارقات من النجوم الثواقب
ربـاه ما الغاربات من الظنون الكواذب

رباه كيف ترانى وكيف حالىَ عندكْ ؟
هل كنت فى كل حالٍ إلاّ فتاك وعبدكْ ؟



الأشـــعة الكونية

للدكتور محمد محمود غالى

« تحجب ورقة رقيقة أشعة الشمس عن أعيننا ولا تحجب كتلة من الرصاص سمكها بضعة أمتار الأشعة الكونية التى تخترق أسقف منازلنا أينما وجدت وأجسامنا أينما تكون »

تحدثنا عن نملة افترضنا أنها تتأمل خرجت لأول مرة فى حياتها من مكمنها، فوجدت نفسها بطريق المصادفة فى سرادق تكسو أرضه أبسطة وتتلوه أنوار ويؤمه كثير من الزائرين. انطفأت الحياة فيها قبل أن تتاح لها الفرصة لتعرف ما عسى أن يكون فى الوجود غير ما يجول بداخل السرادق الفسيح، وذكرنا أن الدنيا عند هذه النملة فضاء تضيئه أنوار وتحيط به أقمشة وتغطى أرضه أبسطة، وفقيه يرتل آيات، ونادل يتحرك بين الحاضرين

دخلت السرادق نملة أخرى، ظلت تسير على الأبسطة وتحت الأنوار وتتابع السير فى مأمن من النادل والفقيه، وعوضاً عن أن تقضى نحبها اهتدت إلى كومة الرمل التى خرجت منها الأولى وصادفت داخل الكومة إحدى بنات جنسها تتأمل عالمها الذى تراه لأول مرة من ثقب السجاد، هذا العالم الذى لا زال ينحصر عندها فى سرادق وفقيه ونادل وأنوار وزائرين

تحدثت الزائرة إلى جارتها: لا تظنى أن الدنيا هى هذا السرادق المحدود، فقد رأيت رأى العين قبل الدخول فيه قاطرة يتصاعد الدخان منها، ورأيت فريقاً من بنى الإنسان يجتمع فى مركبات تجرها القاطرة، وعند ظنى أنهم اجتمعوا لغاية واحدة، هى أن يصلوا جميعاً إلى مكان معلوم، يغلب على ظنى أنه بعيد جد البعد عنا؛ فقد كانت القاطرة تنهب الأرض بسرعة تختلف كثيراً عن سرعة إخوانهم الراجلين

شد ما تختلف هذه المعلومات الجديدة لدى النملة التى تتأمل، وشد ما تختلف هذه الصورة الجديدة للدنيا عندها، فهذه القاطرة وهذه السرعة طفرة فى معارفها، لم تخطر لها على بال

* * *

فى العلوم وثبات تحدث فى فترات بعيدة من الوقت، تعد للإنسان كهذه المعارف بالنسبة للنملة

عندما اكتشف رنتجن فى سنة ١٨٩٥ الأشعة السينية (أشعة X) كانت هذه الأشعة وثبة فى العلوم لم يسبق للناس عهد بها. وعندما وفق « بكارل Becquerel وكيرى Curie لاكتشاف المواد المشعة كالراديوم، ظن فريق من الناس أن طاقة هذه الأشعة الجديدة التى تزيد مئات وألوف المرات على كل ما نعهده من طاقة وإشعاع، ستكون نهاية ما نعرفه من الغرائب، ولكن عندما اكتشف العلماء، وفى مقدمتهم العالم هيس Hess الأشعة الكونية التى تزيد طاقتها آلاف المرات على طاقة إشعاع الراديوم،

الكون، ما الكون؟ قل لى   يا مُبدعَ الكائنات
هل كان إلا مَراحاً   لأنفُسٍ حائرات ؟

أريتَنِى فى هواك   ما يُوحش الصابرين
فهل أرى من نداك   ما يؤنس الشاكرين ؟

رباه أنت الأمين   على خفايا الغيوب
فهل تكون المُعين   على مآسى القلوب

خاصمتُ فيك أناساً   حجبتَهم عن جمالك
فأرجفوا بى وظنوا   أنى ضللت المسالك

قلبى وعقلى وروحى   نسائم من شذاك
فهل يكون ضلالى   إلا بقايا هداك

« مصر الجديدة »   زكى مبارك

أيقنا أننا لا زلنا فى مهد الطفولة فى العلوم بالنسبة لما يخبئه لنا القدر من معارف يتضاءل إزاءها كل ما بلغناه

هذه الأشعة الكونية التى تتصل بصميم العلوم الطبيعية الحديثة تنبئنا بأغرب ما نعرف من المعلومات عن الكون الذى نعيش فيه . وقد شَغَلتُ نفسى بموضوعها فى السنين الماضية عندما كانت موضوع رسالتى الثانية ، للحصول على دكتوراه الدولة فى العلوم من السوربون . وإنه ليسرنى أن حاضرت عنها الأسبوع الماضى فريقاً من طلبة كلية الطب فى جمعيتهم العلمية كما سأحاضر عنها جمعاً من زملائى فى جمعية المهندسين الملكية فى يوم الخميس ٤ مايو القادم . وها أنذا أحاول أن يقف قراء الرسالة فى مصر والبلاد الشرقية على أغرب ما يعرفه العلماء اليوم ، فأحدثهم عن موضوع بات يشغل بال الكثيرين منهم ، وغايتى أن أعطى القارئ لمحة سريعة عن الحقائق المعروفة بصدد هذا الموضوع ، وعن التطورات التى تناولته ، فهو موضوع تزداد أهميته كل شهر عن سابقه ، ويهتم له كثير من الباحثين فى كل أنحاء المعمورة ، نذكر منهم بلاكت P. M. S. Blackett فى انجلترا وكونتون Compton ومليكان Millikan بأمريكا ، وروسى Rossi وتلميذه بيندتى Benedetti بإيطاليا ، وزميلىّ بيير أوجيه Pierre Auger ولبرانس رينجيه Leprince Ringuet بفرنسا ، وأخيراً العالم الإيطالى فرمى Fermi الحائز على جائزة نوبل للطبيعة فى ديسمبر الماضى

* * *

ربما كان وصف هذه الأشعة بالكونية أقرب للواقع ، فسوف نرى أنها لا تمت إلى مجموعتنا الشمسية بشيء ، بل ربما لا تمت لعالم المجرة المكون من حوالى مائة ألف مليون نجم ، والتى شمسنا إحدى نجومه ، بأى صلة . وربما كان وصفها « بالأشعة النافذة » قريباً للواقع أيضاً ، لأنها تمتاز بقوة اختراقها العجيبة للأجسام ، فبينما نستطيع عندما نتجول فى الخلاء أن نحجب أشعة الشمس بقطعة رقيقة من الورق ، فإن أسقف بيوتنا لا تكفى لتمنع هذه الأشعة من اختراق منازلنا فحسب ، بل أجسامنا بعدها لا تكفى لذلك . وبينما لا تنفذ الأشعة السينية (أشعة X) إلا فى بضعة مليمترات من المادة الصلبة ، كما لا تخترق أشعة الراديوم سوى بضعة سنتيمترات مثلاً منها ، فإن كتلة من الرصاص يبلغ سمكها متراً لا تحجب سوى نصف الأشعة الكونية . وإنه لا تكفى أحياناً كتلة من الرصاص سمكها حوالى عشرة أمتار لكى تحجب كل جسيمات هذه الأشعة . وسنرى كيف يسجل العلماء على الورق الحساس ، مسار جسيمات هذه الأشعة العجيبة بعد اختراقها كل هذه المادة ، وكيف ابتكروا جهازاً ينذر بسماع كل جسيم يمر من هذه الجسيمات النافذة والسريعة التى تمطرنا بها السماء والتى لا تمت لعالمنا بشيء

فى محاضرة للعالم الشاب بيير أوجيه ألقاها فى جماعة العقليين فى باريز سنة ١٩٣٤ عن الأشعة الكونية سمت لانجفان (Paul Langevin) العالم المعروف باكتشافه للأيونات الكبيرة (Gros Ions) وباكتشافه طريقة لمعرفة أعماق البحار بواسطة الموجات الصوتية ، يقول مقدماً « أوجيه » :

« إن الأشعة الكونية موضوع الأسرار والعجائب فهى تخترق أجسامنا طُرّاً ولا زلنا عاجزين عن أن نعرف مصدرها أو أثرها علينا »

هذا ما يَجْهَرُ به « لانجفان » العالم الكبير ؛ وليس مايجهر به لويس دى بروى (Louis de Broglie) (العالم الشاب المعدود اليوم من أكبر أساطين العلماء) فى تقدمة كتاب زميلنا « لبرانس رنجيه » متكلما عن الأشعة الكونية بأقل شأناً من ذلك . يقول دى بروى :

« أى ثروة عظيمة امتازت بها العلوم الطبيعية منذ بضعة سنوات ، وأى باب هام وجديد فى العلوم لا زال يدخر لنا بلا شك مفاجآت أخرى عجيبة ونادرة »

ويكفى ، لمعرفة أهمية موضوع الأشعة الكونية ، أن يذكر القارئ أن المؤتمر الدولى للعلوم الطبيعية الذى انعقد فى لوندرة سنة ١٩٣٣ ، حصر دراسته فى ثلاث مسائل :

الأولى : الحالة الصلبة .

الثانية : الاكتشافات الحديثة فى تهدُّم المادة وتحول العناصر بعضها إلى بعض .

الثالثة : الأشعة الكونية .

تختلف طاقة الأشعة الكونية أو النافذة كما قدمنا عن طاقة الأشعة الراديومية . فبينما لا تتجاوز طاقة أشعة الراديوم عشرة ملايين ألكترون فولت[1] . تبلغ طاقة الأشعة الكونية مئات

(١) قد يهم بعض القراء أن يعرف أن الألكترون فولت هو الطاقة التى يكتسبها الكترون اكتسب عجلة تحت فرق ضغط كهربائى قدره فولت. إن الألكترون فولت يساوى ١ر٦ × ١٠^-١٢ أرجا ويرمزون له بالأفرنجية بالحرف Ve كما يرمزون لكل مليون الكترون فولت بالحرف MVe ويسمونه ميجا فولت ألكترون (méga volt. électrons)

بل ألوف الملايين الألكترون فولت ، وهذه الطاقة تجعلنا فى الواقع إزاء ظواهر تختلف كثيراً عن الظواهر التى اعتدناها .

على أن ما يجعل الأبحاث الخاصة بهذه الأشعة تختلف عن كل ما عداها من الأبحاث العلمية : هو عدم الجزم بمعظم النظريات الخاصة بها حتى الآن . فمعلوماتنا ما زالت لا تُجيز معرفة خواص إشعاع له مثل هذه الطاقة ، حتى أنه لا يجوز لنا أن نُعامل هذه الظواهر بالطرق المعروفة فى الظواهر الطبيعية الأخرى ، فمثلاً لا يجوز لنا أن نجزم بأن طاقة هذه الأشعة تتناسب مع قوة اختراقها للمواد . ومما يزيد فى صعوبة دراسة هذه الأشعة العجيبة افتقارنا إلى نظريات معقولة بصددها ؛ وليس الأمر أن لدينا من النظريات ما نُفاضل بينها ونَتخير الأوفق منها ، بل إنه ليس لدينا نظريات معقولة إطلاقاً . حتى أن بعض العلماء يميل إلى اعتبار الأشعة الكونية حالة علمية جديدة ، تختلف قوانينها عن حالة العالم ، أو الكون الذى نعيش فيه اليوم ؛ وإنه ليس من المحال أن تكون هذه الأشعة بقايا « أركيولوجية » ترجع إلى تاريخ بعيد جداً فى الوجود ، يقدر من السنين بالآلاف من الملايين ، كانت الدنيا فيه أحدث عمراً ، وكانت تختلف الطاقة والقوى والقوانين كل الاختلاف عن عهدنا بها اليوم

على أننا ندع مؤقتاً فكرة العلماء هذه ، ونسير بالقارىء أولاً إلى التعرف عن الناحية الشَّيْئِية أو الفعلية Objectif عن هذه الأشعة .

ثلاثة أمور أدركها العلماء ، وعرفوها فى الظروف العادية ، خاصة بهذه الأشعة :

الأمر الأول : تصل لنا جسيمات صغيرة مكهربة كأنها قذائف وتخترق أجسامنا بسرعة كبيرة ، وقد دلت عليها مسارات مستقيمة هى أثر لعملية التأين[1] Ionisation الحادثة من مرور هذه الجسيمات

الأمر الثانى : عند ما تلتقى هذه الجسيمات السريعة بالمادة ، وبالأحرى بكتلة هامة منها كقطعة سميكة من الرصاص ، تظهر فى المادة حزمات[2] Gerbes لجسيمات أخرى مثل نيترونات[3] Neutrons أو بوزيتونات[4] Positons أو ذرات ثقيلة ، تقذف من المادة نفسها بعيدة عن مركزها الأصلى بسبب مرور جسيمات هذه الأشعة فيها .

الأمر الثالث : يحدث كل هذا ، أى تصل هذه القذائف ، ويقع هذا التخريب فى المادة ، فى أى زمان ومكان على سطح الأرض تقريباً بالنسبة ذاتها ، فترانا معرضين لفعل القذف المستمر بمعدل مقذوف فى كل دقيقة على كل سنتيمتر مربع فى الوضع الأفقى من سطح الأرض ؛ فمثلاً تستقبل راحة اليد (باعتبار مساحتها حوالى ٦٠ $سم^2$) مقذوفا فى كل ثانيــة ، ينفذ منها كما تنفذ الرصاصة من قطعة من الكارتون ، وعلى حد تقدير روسى أستاذ بادو ، تُضرب الأرض بمعدل مقذوف واحد فى كل ثانية لكل ديسيمتر مربع من سطحها .

يعترضنا بعد هذا الوصف الموجز مسألتان :

الأولى : ما أثر هذه المقذوفات على المادة التى تقابلها ؟

الثانية : ما هى طبيعة وأصل هذه القذائف ؟

والمسألة الأولى تخص فيزيقا النواة ، والثانية تخص الفيزيقا الأرضية ، وكلاهما موضوعان حديثان لهما خطَرُهما فى العلوم الطبيعية ويختلفان عن الموضوعات العادية ، وذلك بصغر الظاهرة المراد قياسها ودقة التجارب الخاصة بهما ، وخطورة الرحلات المتعلقة بهما ، سواء ما كان منها فى الجو أو على قمم الجبال أو فى أعماق البحار ؛ كذلك مهارة التحليل العلمى وعظمة الاستنتاج وقوة الاستقراء . كل هذه تجعل من الموضوع بالنسبة لنا موضوعاً يشبه موضوع القاطرة بالنسبة للنملة التى افترضنا أنها تتأمل : وهو ما أود أن يشعر به القارىء فى مقالاتنا القادمة

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم الهندسخانة

(١) الأيون هو ذرة (atome) أو جزئى (molecule) يحمل شحنة كهربائية (charge electrique)

(٢) جمع حزمة . وتسمى الحزمات بالأنجليزية Showero

(٣) ، (٤) كل هذه مكونات الذرة فى المواد المختلفة سنأتى على شرحها فى مناسبة قريبة .

ما هي الحياة وكيف ظهرت على الأرض؟

غريزة الخـــير والشر

وكيف نشأت في الإنسان والحيوانات الاجتماعية؟

للأستاذ نصيف المنقبادى

تتبعت بإمعان المقالات الممتعة التي يتحف بها العالم الأخلاقى المحقق الأستاذ محمد يوسف موسى قراء الرسالة . ولكنى رأيت فيها المفكرين والفلاسفة حيارى لا يدرون كيف يعللون قيام الأخلاق أو الغريزة الأخلاقية في الإنسان تعليلاً صحيحاً ، وهم يتخبطون في البحث عن مصدرها الحقيق ، شأن كل تحقيق لا يستند إلى العلم ولا يدخل في حسابه نواميس الطبيعة وفعل العوامل الطبيعية ولا يقوم على المشاهدة والاختبار . وقديماً كانت المذاهب التي لا تستند إليهما ، بل الفلسفة كلها (عدا الفلسفة اليونانية وفلسفة ابن رشد المأخوذة عنها) حجر عثرة في سبيل تقدم العلم ، وهو — أى العلم — لم ينهض نهضته العظيمة الحاليـة إلا حينما تحرر من تلك المذاهب القديمة وأساليبها العقيمة البالية ووقف أمام الطبيعة يستقصى منها رأساً النواميس التي تدير الكون بأسره بما فيه كرتنا الأرضية المتواضعة ، وما عليها من ظواهر ومواد متنوعة ، منها الكائنات الحية والبشر وخواصها وتفاعلاتها وطبائعها منفردة ومجتمعة

لهذا رأيت أن أبين هنا رأى علم البيولوجيا في الأخلاق باعتبارها ظاهرة طبيعية قائمة في الإنسان وفي الحيوانات الاجتماعية الأخرى كالنمل وغيره

وفي الوقت نفسه سيأتى هذا البحث مكملاً لما جاء في المقالات الأخيرة التي نشرناها على صفحات الرسالة عن وحدة الكائنات الحية (بما فيها الإنسان) والجمادات واشتقاق الأولى من الثانية وكيف أنه لا يدير الأحياء ولا يعمل فيها إلا النواميس الطبيعية ، وأن جميع ظواهر الحياة حتى التفكير والغرائز (ومنها الغريزة الأخلاقية التي سيأتى الكلام عليها) والقوى العقلية على العموم ليس لها إلا مصدر واحد وهو الغذاء أو بالأحرى الطاقة الكيميائية الكامنة في مادة الغذاء كما شرحنا ذلك كله بالتفصيل في مقالاتنا الأخيرة .

الحياة الاجتماعية منشأ الغريزة الأخلاقية

كان أجدادنا البعيدون الذين تسلسلنا منهم يعيشون فرادى في الغابات يتسلقون أشجارها ليقتاتوا ثمارها ، ثم في المغاور والكهوف في العصر الجليدى الذى دام نحو مائة ألف سنة ، فكان الواحد منهم عرضة لجميع أنواع المهالك كهجمات الحيوانات المفترسة لا يستطيع أن يردها بمفرده ، كما أنه كان يعجز عن القيام بالصعب من الأعمال في سبيل الحصول على غذائه كصيد فريسة كبيرة مثلاً ، أو في سبيل تهيئة مأوى صالح له

ولكنهم لحظوا ، مع مرور الزمن ، أنه كلما سار فريق منهم مجتمعاً سهل عليه التغلب على العدو المهاجم واستطاع القيام بالأعمال التي لا يقوى عليها الواحد منهم منفرداً

وهكذا دلتهم خبرتهم شيئاً فشيئاً مدة ألوف السنين على أن بقاءهم مجتمعين أجدى عليهم وأصلح. وهذا هو منشأ الحياة الاجتماعية وأول صورة من صورها

غير أن اجتماعاتهم هذه كانت في بادئ الأمر قصيرة الأجل لأن الواحد كان يبطش بالآخر كلما سنحت له الفرصة ليستولى عنوة أو خلسة على إنائه أو ما يكون قد حصل عليه من فريسة أو غذاء أو مأوى أمين ، فلا تطيق الجماعة الحياة المشتركة ، ولا يلبث أفرادها حتى يتفرقوا تخلصاً من اعتداء بعضهم على بعض. وحينئذ يشعر كل منهم بضعفه وهو منفرد أمام الأخطار التي تهدد حياته في كل حين وأمام الصعوبات التي يلاقيها في سبيل الحصول على غذائه

وهنا تدعوهم الظروف الطارئة مرة أخرى إلى مقاومة عدو قوى أو زحزحة صخرة ضخمة ، أو مهاجمة فريسة كبيرة ، ثم يتشتتون ، ثم يجتمعون ، وهكذا . وفي كل مرة يزدادون اقتناعاً — أو بعبارة أصح — يزدادون شعوراً بفوائد الحياة الاجتماعية ومزاياها لكل واحد منهم

وأخيراً فطنوا إلى أنه لا بد لبقائهم مجتمعين من اتباع بعض قواعد كانت فى أول الأمر فى أبسط صورها مثل احترام حياة الغير وإنائه وملكيته . وهذا هو بدء ظهور الأخلاق بين أفراد النوع الإنسانى ، وهى كما ترى وليدة المنفعة — منفعة الجماعة وبالتالى منفعة كل فرد منهم على حدة — فمنفعة الجماعة أو الهيئة الاجتماعية هى أساس الأخلاق ، فهى التى دعت إليها وحملت الناس على اتباعها والتحلى بها ، لأن الحياة الاجتماعية التى اقتنع بنو الإنسان بفوائدها وجنوا ثمارها لا بدّ للمحافظة عليها من احترام حياة الغير وملكيته وغير ذلك من القواعد التى سُمِّيت بالأخلاق ، وإلا اضطر كل فرد أن يهرب من غيره فتضيع عليهم تلك المزايا ، مزايا الحياة جماعة

وعلى هذا النحو تكوّنت الجماعات القليلة العدد ثم العشائر ثم القبائل ثم الشعوب . وكلما زاد ارتباط الأفراد وعاشوا مجتمعين تقدمت الروح الاجتماعية أو روح التضامن وارتقت الأخلاق واتسعت قواعدها ورسخت أصولها فى النفوس إلى أن أصبحت غريزية فى الإنسان أو كادت . ذلك لأن كل صفة مكتسبة تصبح غريزةً مع الاستعمال والاعتياد ومع انتقالها بالوراثة من جيل إلى جيل ومن نسل إلى نسل . وهذه هى ماهية الغريزة كما عرفها هربرت سبنسر وإدمون بريه وغيرهما من علماء البسيكولوجيا والبيولوجيا . فإذا درّبنا مثلاً الكلاب العادية على الصيد وفعلنا هذا مع ما يتعاقب من نسلها فإن الأمر ينتهى بنا إلى أن نحصل على نسل من الكلاب يعرف بغريزته أساليب الصيد ومقتضياته بلا أى تدريب . وما كلاب الصيد المعروفة الآن بهذا الوصف إلاّ كلاب عادية تدرّب أجدادها على تلك الصفة إلى أن أصبحت غريزة فيها

ومن أهم العوامل التى قربت بين أفراد النوع الإنسانى فى بادئ الأمر ظرف طارئ طبيعى محض هو قيام العصر الجليدى الأمر الذى اضطر أفراد الإنسان أن تلجأ إلى المغاور والكهوف لتتقى البرد القارس الذى اشتد فى ذلك العصر البعيد . ونظراً لأن عدد تلك الملاجئ كان محصوراً عاشت الناس فيها بطبيعة الحال جماعات جماعات . وإلى ذلك العصر يُعزى تعلم الناس تغطية أجسامهم بجلود الحيوانات الأخرى ليحموا أنفسهم من البرد الشديد . فترتب على ذلك من جهة قيامُ غريزة الحياء فيهم ، ومن جهة أخرى زوال معظم الشعر الذى كان يُغطى أجسامهم

وحين وصل النوع الإنسانى إلى درجة تذكر من التفكير نشأت الأنظمة السياسية البسيطة والشرائع الأولية فزادت فى تقريب الناس بعضهم من بعض ، وتوثيق عرى الروابط الاجتماعية بينهم ، ونظمت قواعد الأخلاق ورغّبت الناس فيها بما صورته لهم من العقاب لمن خالفها والثواب لمن اتبعها

ومن الأسباب التى ساعدت أيضاً على ربط الناس بعضهم ببعض التجارة والمعاملات وتبادل المحصولات والصناعات بين الأفراد والجماعات

ومن العوامل القوية فى تحضير الجماعات البشرية وتمدينها ووضع حد لحالة البداوة والتنقل ، الزراعة وما تستوجبه من البقاء فى الأرض لرعاية المزروعات وجنى محصولاتها . ولا يفوتنى أن أنوه هنا بفضل نهر النيل العظيم وفيضاناته السنوية وما يعقب كل فيضان من خصوبة فى الأرض لا مثيل لها ، وأن بعض علماء الاجتماع يرى أنه هو الذى علم الناس الزراعة ، ولذلك كانت مصر منشأ المدنية وأصل الحضارة فى العالم

ثم ارتقت الحياة الاجتماعية فنشأت فوق الغريزة الاجتماعية (التى بين مظاهرها القومية أو الوطنية) عاطفة جديدة فى الأمم الراقية هى عاطفة الإنسانية أى حب مجموع البشر بلا تمييز بين الأجناس والملل ، كما وجدت فوق القواعد الأخلاقية الأصلية التى أصبحت غريزية أو كادت على الوجه المتقدم بيانه ، ما يسمونه بآداب السلوك وقواعد التربية وحسن المعاملة

وبالجملة فإن الأساس العلمى الصحيح للغريزة الأخلاقية أو غريزة الخير والشر إنما هو المصلحة — مصلحة المجموع قبل كل شىء — وعلى هذا يكون التعريف الطبيعى للفضيلة أنها كل ما يعود على المجتمع الإنسانى بالخير ، والرذيلة كل ما يلحق به من الضرر . وفى مصلحة المجموع مصلحة كل فرد على وجهها الصحيح كما تقدم بيانه

على أن الغريزة الأخلاقية قد رسخت الآن فى نفوس الأمم

المتمدينة وعلى الأخص فى شمال أوروبا ، وتجردت فى الظاهر من صفتها المصلحيه أو النفعيه إلى حد أن أصبحت تلك الشعوب تحب الفضيلة لذاتها وتمقت الرذيلة وتنفر منها لأنها رذيلة ليس إلا

وليس النوع الإنسانى هو النوع الاجتماعى الوحيد بين الحيوانات ، فإنه توجد أنواع أخرى أعرق منه فى الحياة الاجتماعية وأقدم مثل أنواع النمل التى تغلبت فيها الغريزة الاجتماعية وبالتالى الأخلاقية على الغريزة الفردية أو غريزة حب البقاء . فترى أفراد تلك الأنواع تقوم بأشق الأعمال مثل حفر السراديب تحت الأرض ، أو البحث عن الغذاء ، ونقله المسافات الطويلة وادخاره لمصلحة المجموع . وهى تفعل هذا فى نشاط ، وبمحض إرادتها دون أن يأخذها الكلل أو الملل ، ودون أن يكون عليها رقباء منها يدفعونها إليه . بل هى الغريزة الاجتماعية ، وما يتبعها من الغريزة الأخلاقية ، التى تحملها على ذلك . وكثيراً ما تضحى أفراد النمل بنفسها ، وتقدم حياتها عن طيب خاطر إذا ما دعت مصلحة الجماعة إلى ذلك ، وهى تتحلى بهذه الفضائل الجيدة بفطرتها الغريزية نتيجة حياتها مجتمعةً مدة ملايين السنين منذ أوائل العصر الثانى من الأعصر الجيولوجية .

أما النوع الإنسانى فلم تتمكن فيه بعد الغريزة الاجتماعية والأخلاقية إلى هذا الحد ، لأنه حديث العهد بالحياة الاجتماعية حيث أنه لم يمض عليه إلا نحو مائتين وخمسين ألف سنة ، وهو على هذا الحال لأنه ظهر فى أواخر العصر الثالث .

وخلاصة القول أن الأخلاق ليست وليدة تعاليم خاصة ، ولا هى وقف على مذهب دون آخر أو طائفة دون غيرها ، وإنما هى ظاهرة طبيعية تطرأ على الحيوانات الاجتماعية مثل الإنسان والنمل نتيجة لازمة لحياة أفرادها جماعة ، وقد أصبحت غريزة متأصلة فى أنواع النمل ، وهى غريزة فى دور التكوين فى النوع الإنسانى

على أن الأخلاق سوف تتأصل فى الإنسان مع مرور الزمن الطويل ، وترتقى بارتقاء حياته الاجتماعية فيأتى يوم فى المستقبل يسود فيه التضامن التام بين الناس وتعم الروح الاجتماعية وبزول الشر من النفوس ، وتمتنع الجرائم والحروب وتنتشر الفضيلة ، ويصبح الإنسان مطبوعاً على الخير وحب المجموع بغريزته وتقفل المحاكم والسجون أبوابها .

وقد تزول الحكومات على ما يتوقع هربرت سبنسر ، وغيره من علماء الاجتماع ، ويخلص الناس من نير الأحزاب السياسية ومساوئها وغرور زعمائها وعبثهم بعقول الناس ، وتمجيد الجماهير البلهاء لهم ؛ ويكون العلم قد قهر الأمراض ، وعالج الشيخوخة ، وتغلب عليها (وما هى إلا مرض كسائر الأمراض الأخرى ، عبارة عن تسمم تدريجى نتيجة التغذية بضاعفه فعل كريات الدم البيضاء المفترسة) فتطول حياة الإنسان ، وقد يمتنع الموت وهو ليس بنتيجة لازمة للحياة بدليل الحيوانات والنباتات الخالدة ، وهى الأحياء الأولية ذات الخلية الواحدة ، مما سنشرحه فى مقال قادم . ويكون بنو الإنسان قد حلوا المشكلة الاجتماعية الكبرى الخاصة بتوزيع العمل وخيرات الطبيعة بينهم توزيعاً عادلاً ، فيعيش البشر فى سلام ونعيم دائمين ، ذلك النعيم الذى ظلوا العصور الطويلة يحلمون به ولن يحققه لهم إلا العلم

نصيف المنقبادى المحامى
دبلوم فى الفسيولوجيا العليا الحيوانية والنباتية
من كلية العلوم بجامعة باريس (السوربون)



دكتاتورية هتلر — للكاتب الألماني توماس مان (*)

قد يفاخر فاتح برختسجادن (هتلر) بأنه حمى الشعب الألماني ، وأحرز فوزاً وانتصاراً عظيمين ، دون أن يشهر سلاحاً أو يريق قطرة من دماء

فإذا كان هذا مبلغ فخاره ، فيحق لى أن أسأل : فى أى لحظة عرف أنه قد أمن عواقب عمله ، وأنه نجا من حملة لا تخفى عواقبها على أحد ؟ فإن الأمر كان يستدعى أن تهب فرنسا لمناصرة الأمة المحالفة لها ، وهنا تقع الكارثة

من المحتمل أن يكون قد عرف ذلك ، ولكن بعد كل إنسان ! فقد ظهر أخيراً أن تحذير جورنج وموسوليني له فى الأيام الأخيرة من سبتمبر كان ضرورياً لمنعه من الانزلاق بأمته نحو الهاوية ، فيدفعها إلى حرب لا يستطيع أن يصمد لها وهزيمة محققة ، رأيا من الشفقة أن يحمياه شرها . ومما يقال على ما فيه من السخرية ، إن بعض الفاشست من الإنجليز قد توسلوا إليه أن يتفضل بقبول النجاة التى تعرض عليه !

إن الحكام الانجليز لا يريدون أن يوقعوا كارثة بالفاشست ولا يودون ذلك على الإطلاق . إنهم لا يريدون الحرب ، لأنهم يكرهون أن يحرزوا فوزاً تشاطرهم روسيا فيه ؛ وليلهم إلى السلام قد ظهروا أمام العالم الجزع بمظهر المخلصين المنقذين . وإلا فقد كان من المنتظر أن تحل الكارثة بإيطاليا وألمانيا فى أربع وعشرين ساعة ، ولكن الإنجليز هم الذين أبوا ذلك . لم يسمح لهتلر أن يحطم الفاشستية . ومع ذلك فهو يزعم أنه نال كل شيء بغير عنف، وهو مهدد بالدمار لو استعمل شيئاً من ذلك

أيها المتنصرون الباهون، أنتم لا شيء. إننا لا نعد أنفسنا قد انهزمنا وخرجنا من الميدان . . . إن العقل والروح قد اعتادا الاضطهاد فى هذه الأرض منذ آلاف السنين ، ولكنهما لم يهزما ويقتلا بمثل هذا الانتصار

لا تخف ! إن الحق والفكر قد يخمدان لحظة قصيرة ، ولكنهما قويان فى أعماق نفوسنا

ومن قمم الفن الصادق تطارد الروح هذا الانتصار الكاذب . ولا يغرنك أنها فى عزلة وانفراد، فهى فى تحالف وألفة دائمين مع كل ما يفيد العالم الإنساني

إن الدكتاتورية تناقض نفسها بادعائها محو السيئة وتحرير الضمير الإنساني وتلقين البطولة ، بينما تحط من قيمة الإنسان وتستعبده ولا تعتد بكرامته معتقدة أن هذا حظه فى الحياة وليس له حظ سواه ، وكل ما عداه لغو وهباء . فأى مخالفة للمنطق هذه ؟

إن فهم البطولة يحتاج إلى فكر أعمق وفلسفة أدق من تلك الفلسفة التى تستند إلى القوة والتضليل ، تلك الفلسفة التى تسوق وراءها الدهماء .

(*) توماس مان فى طليعة الكتاب الذين أخرجهم النازى من ديارهم وقد جرد من جنسيته الألمانية ونزعت عنه ألقابه الجامعية لمخالفته للنازى ومهاجمته القمصان الملونة. وهو من حائزى جائزة نوبل ويعيش الآن فى الولايات المتحدة

رقص الحياة — عن الافنتج كرونيكل

فى الشعر والتصوير والنحت صورة معروفة يرمز إليها برقصة الفناء . يصورون فيها هادم اللذات ، وهو يحصد نفوس البشر من كافة الأجناس

فيمثلون الموت يجذب النفوس من كل سنخ وجنس ، فى قسوة القاهر المستبد ، وهى تدفعه عنها بكل مارزقت من قوة، وتتشبث بالحياة فى جزع ورهبة ، والموت يقتادها إلى حيث يريد وهو مكتوب له النصر دائماً ، فيرقص منتشياً بالفوز والظفر وهى مسوقة إلى مقرها الأخير ، ومن هنا رمزوا إلى تلك الصورة « برقصة الفناء »

ولكن الكاتب المعروف « هافيلوك أليس » يخالف هذه الصورة ، فيترك رقصة الفناء ويتكلم عن رقصة الحياة

فهو يقول إن الحياة فن . وكل شيء فيها وكل مخلوق يدب على أرضها فنان يصور حياته كما يصور الرسام لوحته ، أو التمثال تمثاله . ويدلل على أن التفكير فن والكتابة فن ؛ حتى الأديان والأخلاق فنون جميعها ، وأن الرقص أساس قوي في تلك الفنون ويعده التعبير الأسمى للحياة

ونظرية « أليس » هذه تفتح أمامنا باباً واسعاً للتأمل والتفكير . فنحن نعرف منها كيف كان الرقص في كيان الإنسان وفي صميم كل مدنية ، وكيف يكون معبراً عن الحياة !

إن الحياة تعبر عن لحن جميل في الحقيقة ، والألحان ينبوع الرقص . ليست الحياة وحدها هي التي تعبر عن هذا اللحن بل الكون أجمع يشترك في هذا التعبير . وهذا يفسر قول الإنجيل : النجوم ترقص في الصباح . إنها بلا شك تخفق وتهتز على تلك النغمة التي تشمل الحياة

وكما كان الرقص مصوراً لحركاتنا الجسدية والنفسية ، فقد كان كذلك أول معبر عن الأديان ، وقد نشأ الرقص مع الإنسان

ويقول لفنجستون الرحالة المشهور إنه شاهد في أنحاء أفريقيا قبائل يحيي بعضهم بعضاً بقوله : أين ترقص . وذلك أن رقص الإنسان يدل على قبيلته ويميط عن أخلاقه الاجتماعية والدينية

ويقول فريزر : إن الإنسان الأول لم يكن يلهج بدينه بل كان برقصه . ويقول الكثير من علماء الشعوب : إن الأديان فيما مضى من الزمان كانت قائمة على الرقص ، وإن الإنسان الأول تعلم الرقص قبل أن يتعلم الدين »

ولعل في هذا البحث ما يبعث على التفكير في أساليب بعض رجال الطرق في مصر ، وفي غيرها من البلاد الشرقية

مدارس الاستعمار – عن « لافرانس دي أوتر مير »

في ألمانيا الآن مدرستان للاستعمار ، إحداهما في وتزنهوس ، ولها قسم للتعليم العملي في بترفيلد ، والأخرى في رندسبرج . فالأولى تعد رجالاً ذوي قدرة على الاستعمار والاستقلال ، والثانية تعد الزوجات الصالحات لهؤلاء الرجال .

وعلى مسيرة ساعة من المدينة يرى هؤلاء التلاميذ مكبين على أعمالهم في معزل عن العالم ، ليألفوا هذا النوع من الحياة ، التي لا تختلف عن حياة « روبنسن كروزو » . وهم يقومون بتشييد المباني وتجديدها ، ويستخدمون في أعمالهم أبسط الآلات .

والمدرسة تقوم على تعليمهم النظريات العالية بطرق عملية بسيطة ، فإلى جانب العلوم التي يلقنونها داخل الفصول : في الزراعة والتاريخ والطب والصيدلة ونظام المكتبات ، واللغات الشرقية ، وإدارة المستعمرات يتدربون على الشئون العملية في الحياة تدريباً محيراً ؛ فمن الصباح الباكر يستيقظون لحلب البقر وحمل لبنها إلى حيث يصنعون الجبن والزبد .

ويقوم تلاميذ هذه المدرسة بزراعة الحبوب ، ويتولون شأنها في جميع الأحوال من الحرث إلى الحصد ، ويقومون بطحنها ، وعجنها . وهم فوق ذلك يتعلمون الهندسة الكهربائية ، وهندسة الري والبناء والطرق والجسور ، وأعمال النسف والتدمير

والمستعمر الألماني يتدرب على صناعة الطوب الذي يستعمله لبناء المساكن ، وعليه أن يتعلم النجارة ، وإصلاح الأخشاب وإعدادها ، وصناعة السفن وعمل السروج والحدادة على اختلافها . وأخيراً يجب عليه أن يتعلم فنون الحرب ويلم إلماماً تاماً بالتعاليم النازية . أما البنات فلا يختلف نظام تعليمهن عن هذا النظام من حيث الدقة والإحكام ، ويتفق معه من حيث الجمع بين التعليمين النظري والعملي

فهن يتعلمن لغة الزنوج ويتدربن على رعاية المرضى والأطفال ، ويتعلمن طهي الطعام على الطرق المعروفة في مختلف المستعمرات ، مما يختلف والطهي المعهود في ألمانيا كل الاختلاف

ويجب عليهن أن يتعلمن رتق الملابس ، ويتدربن على ركوب الخيل وقيادة السيارات وحمل السلاح

ويراعى في هؤلاء الزوجات أن يكن قادرات على تكوين الخلق المطلوب ، بحيث يكون لهم نصيب واف في بناء الدولة

فإذا استعادت ألمانيا مستعمراتها ، وجه إليها هذا الجيش من المستعمرين والمستعمرات فيقومون ببناء مساكنهم بأيديهم أو بمساعدة بعض الخدم ، ويحرثون الأرض ويحصدون الثمار . فإذا أتوا بنسل درج على هذه الصفات . فلا تمضي سنوات حتى يكون في تلك المستعمرات شعب ألماني قوي متين



تاريخ الآداب العربية لبروكلمن

قد سبق لي أن أخبرت قراء هذا الباب من الرسالة أن المجلد الثالث من « تكملة تاريخ الآداب العربية » للمستشرق الكبير بروكلمن قد أخذ في الظهور ؛ فوصفت الجزء الأول منه وقلت إن المجلد كله موقوف على الأدب العربي الحديث . وهذا الجزء الثاني يصلني وفيه مواصلة الحديث في الشعر المصري منذ هبوط الانجليز هذا القطر (ويقول بروكلمن : منذ احتلال الإنجليز له) ، ويجرى الحديث على حافظ ابراهيم ومصطفى صادق الرافعي وأحمد محرم والكاشف وأحمد نسيم وحسن القاياتي، وهم ممن نحوا نحو البارودي في النظم على الطريقة الاتباعية . ويجرى الحديث بعد هذا على البكري وعبد المطلب وهما من أصحاب تلك الطريقة مع بعض الإفراط . وينتقل الحديث إلى خليل مطران على أنه صاحب مذهب جديد في الأداء مع بقائه على المبنى القديم . وممن حذا حذوه أحمد زكي أبو شادي ؛ وممن يلتف حوله عبد الرحمن شكري. وقد أفاض صاحب الكتاب في تحليل شعر مطران ، ومما قاله إنه جاء بالملاحم وألف بين النظم الإفرنجي والأسلوب العربي ، وأفاض أيضاً في وصف شعر أبي شادي

ومن المراجع العربية التي عوّل عليها المؤلف أو ذكرها : « حياة حافظ » لمحمد كرد علي ، « حافظ وشوقي » لطه حسين ، « المختارات » للمنفلوطي ، « على السفود » للرافعي « ثورة الأدب » لمحمد حسين هيكل ، « الفصول » للعقاد . ومن المجلات العربية المذكورة في سياق البحث : المقتطف والهلال والرسالة ومجلة المجمع العلمي العربي ومجلة الأزهر

ب . ف

عبث الوليد

أشكر الأستاذ الجليل ابراهيم يس القطان على مكارمه وفضله وأدبه وسعة اطلاعه . أما عن قول المعري (عبث الوليد) فقد جاء في كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان في ترجمة المعري ما نصه :

« واختصر ديوان أبي تمام وشرحه وسماه (ذكرى حبيب)، وديوان البحتري وسماه (عبث الوليد) ، وديوان المتنبي وسماه (معجز احمد) وتكلم على غريب أشعارهم ومعانيهم ومآخذهم من غيرهم وما أخذ عليهم وتولى الانتصار لهم والنقد في بعض المواضع عليهم والتوجيه في أماكن لخطئهم » فهذا التفصيل وهذه الإطالة في شرح محتويات هذه الكتب تدل على الاطلاع أو تفهم القارئ أن الكاتب واثق من قوله. فهو يقول اختصر كل ديوان من الدواوين الثلاثة ولم يقل إنه أخذ محاسن أبي تمام والمتنبي في كتابيه عنهما واكتفى بعيوب البحتري في كتابه عنه، بل قال إنه ذكر للثلاثة محاسن ومساوئ، وذكر للثلاثة أخطاء وعيوباً ودل على ما امتاز كلٌّ به من المعاني الخ، ومع ذلك مَيَّزَ بينهم في عنوان كل كتاب، وهذا التمييز هو الذي عنيته بنقدي. على أنه لو صح أن ابن خلكان أخطأ في شرح هذه الكتب وكان كتاب المعري عن البحتري مقصوراً على العيوب والمساوئ ولم يقصر المعري على مساوئ أبي تمام والمتنبي الكتابين الآخرين لكان هذا ظلماً من المعري للبحتري ، إذ أن لأبي تمام والمتنبي مثل هذه الأشياء التي ذكرها الأستاذ الجليل القطان فَلِمَ رُجِّحَ إذاً أنه قصر الكتاب على عيوب البحتري لهذا السبب وأخذنا وصف ابن خلكان محتويات الكتب والتمييز في العنوان بالرغم من ذكر المعري مساوئ شعر أبي تمام والمتنبي في كتابيه عنهما — وإذا لم يكن غير نسخة واحدة في مصر من كتاب عبث الوليد مأخوذة بالتصوير الشمسي فهذا سبب قلة استيفاء بحثها . ومما جعلنا نصدق قول ابن خلكان ومن قال مثل قوله علاوة على الأسباب المتقدمة أنا لم نستكثر على المعري ألا يقدر صنعة البحتري قدره حكمة المتنبي في شعره الذي سماه

معجز احمد. ومما يدل على ذلك أيضاً أنه لم يمدح شيخ البيان أباتمام كثيراً فى عنوان كتابه إذ جعله ذكرى، والذكرى لا تعارن بالمعجزة. وقد شُهِر عن المعرى انتقاص للشعراء الذين يهتمون كل الاهتمام للصناعة والأسلوب الخطابى ، فقد روى أنه قال عن شعر محمد بن هانى الأندلسى : (إن شعره كطاحونة تطحن قروناً لإحداث قعقعة) وابن هانى الأندلسى له شعر يقارب طريقة أبى تمام ومسلم بن الوليد التى احتذاها البحترى أيضاً ولم نستبعد أن يكون صاحب اللزوميات التى ملأها تفكيراً فى معضلات الحياة قد صنع ما نسبه إليه ابن خلكان وغيره من مؤلفى السِّير وقدَّم التفكير على الصنعة فى الشعر وجعل الصنعة عبثاً إذا قورنت بالحكمة وإن لم تكن عبثاً إذا لم تقارنها. ومما ينبغى أن نلاحظه أنه كان فى نفس المعرى كما كان فى نفس تولستوى الأديب الروسى صراع عنيف بين نشدان جمال الصنعة فى الآداب والفنون وبين البحث عن الحقيقة الروحانية ، وهــذا الصراع قد يفسر اختلاف قوله فى البحترى . وبعد كل ذلك نرجو الأستاذ الفطان أن يرجع مرة ثانية إلى هذه النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسى ليرى هل هى كاملة ، وهل هى مقصورة على عيوب البحترى ، فإذا كانت كاملة (لا ناقصة كما فى بعض الكتب النادرة) وإذا كانت مع تمامها مقصورة على عيوب البحترى كان ابن خلكان غلطاً فى وصفه لمحتويات الكتاب، وكان المعرى ظالماً إذ اختص البحترى فى كتابه عنه بالعيوب ولم يختص أبا تمام والمتنبى ، وهــذا أمر مستبعد ولكنه لو صح لكان حجة لنا أيضاً .

عبد الرحمن شكرى

حول مقال المبتدأ الذى لا خبر له

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى جولات فى ميادين العلم والأدب خرج فى بعضها ظافراً أيما ظفر ...

وفى العدد الماضى من الرسالة إحدى جولات الأستاذ فى علم النحو أساجله فيها والله أعلم أينا يكون له الظفر ؟

درس الأستاذ علم النحو فى هذا العام ودرج فيه ـ كما يقول ـ على عادته من إيثار تمحيص المسائل على ترديدها كما دوَّنها المؤلفون. أى كما يفعل كثير من الناس ! ونحن نحمد للأستاذ طريقته هذه لأننا نعتقد أنها الطريقة المثلى التى يعم نفعها وتجنى ثمرتها ، ونأمل أن ينتهجها كل من يتصدى لدراسة المسائل النحوية .

وكان مما محَّصه الأستاذ من مسائل النحو وخرج منه بنتيجة مسألة « المبتدأ الذى لا خبر له » وهو الوصف الذى له مرفوع يغنى عن الخبر فى مثل قول ابن مالك : أسارٍ ذانِ .

ومجمل بحث الأستاذ فى هــذه المسألة أمران خرج منهما إلى نتيجة ، ووضع قاعدة جديدة فى علم النحو .

الأمر الأول : مؤاخذة النحاة فى إعرابهم الوصف فى مثل هذا الموضع مبتدأ (لأن المبتدأ ـ فى الجملة الاسمية ـ هو المحكوم عليه ، والوصف هنا فى مقام الفعل فليس محكوماً عليه وإنما هو محكوم به .) هذا تعليل الشيخ ؛ وإن كنت لم أفهم معنى لتقييد المبتدأ بكونه — فى الجملة الاسمية —

فهو يرى أن المبتدأ لا يكون إلا محكوماً عليه والذى نعرفه من كلام النحاة فى تعريفهم للمبتدأ أنه يكون محكوماً عليه فى مثل : العلم نافع، ويكون غير محكوم عليه فى مثل ما نحن بصدده . وهذا هو تعريفهم للمبتدأ :

« المبتدأ هو الاسم العارى عن العوامل اللفظية : مخبراً عنه أو وصفاً رافعاً لمكتفى به »

والمعنى الذى أدركه الشيخ فى المثال (وهو أن الوصف قائم مقام الفعل فهو مسند لا مسند إليه ومحكوم به لا محكوم عليه) هذا المعنى الذى يبدو أن الشيخ قد انفرد به لم يهمله النحاة فقد قالوا فى شرح التعريف المتقدم ما خلاصته :

ليس معنى اكتفاء الوصف بالمرفوع عن الخبر أنه ذو خبر أغنى المرفوع عنه لأن الوصف هنا لا خبر له أصلاً لقيامه مقام الفعل والفعل لا خبر له

الأمر الثانى : قاعدة وضعها الأستاذ وهى أنه كلما كان هناك مبتدأ كان هناك خبر . ومن الواضح أن هذه القاعدة لم تنشأ إلا من حصر المبتدأ فى المحكوم عليه كما فعل الشيخ . وبالنظر فى التعريف المتقدم يعرف أن الصواب أن تكون القاعدة هكذا : كلما كان هناك مبتدأ كان هناك خبر أو فاعل يغنى عن الخبر . ومعنى أنه مبتدأ فى هذه الحالة أنه اسم مجرد من العوامل اللفظية :

الأمر الذى استبعده الأستاذ بحجة أنه لا نظير له لأن النحاة لم يسموا الشيء فاعلاً إلا إذا كان فاعلاً فى المعنى ، وهكذا

ونحن نقول له إن هذا مسلم . وهم كذلك لا يسمون الاسم مبتدأ إلا إذا كان مبتدأ فى المعنى أى إلا إذا كان اسماً مجرداً من العوامل اللفظية وهو إما مخبر عنه أو وصف رافع لما يغنى عن الخبر وإنما يكون معدوم النظير إذا انحصر معنى المبتدأ فيما قال الشيخ

والنتيجة التى وصل إليها الأستاذ من تمحيصه لهذه المسألة أن مثل هذا الوصف لا يسمى مبتدأ ، بل يسميه الشيخ اسم فاعل أو اسم مفعول لتجرده من العوامل اللفظية . كما استثنوا اسم الفعل مع تجرده من هذه العوامل فلم يسموه مبتدأ . والمعروف أن اسم الفعل إنما استثنى مع تجرده من العوامل لأنه ليس واحداً من النوعين اللذين يكون منهما المبتدأ ، لأنه قائم مقام لفظ الفعل على الصحيح ؛ وأما على الرأى القائل بأنه قائم مقام معنى الفعل فهو مبتدأ مستغن بمرفوعه عن الخبر كاسم الفاعل فى مسألتنا

وبعد . فهذا ما أردت أن أعقب به على كلام الشيخ وأرجو أن أكون قد وفقت فيه كما أرجو أن يتقبله الأستاذ بما يجب أن يكون عليه من يتصدى لتمحيص المسائل العلمية بغية الوصول إلى حقائقها .

والسلام على الأستاذ ورحمة الله

أبو حجاج
مدرس بحمر

مشروع جديد لتنظيم مجمع فؤاد الاول للغة العربية

يعتزم صاحب المعالى الدكتور محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف فى هذه الأيام تنفيذ مشروع جديد لتنظيم أعمال مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، وكان معاليه قد سبق أن أدلى بكثير من آرائه فى تنظيم مهمة المجمع فى مقالات نشرها فى جريدة السياسية قبل أن يصبح وزيراً للمعارف . وقد رأى معاليه أن الوقت حان لتحقيق آماله فى هذا الإصلاح والتنظيم ، فأعاد مراجعة مقالاته السابقة كما ضم إليها كثيراً مما كتبه كبار الكتاب فى الصحف والمجلات فى هذا المعنى ، ووضع بعد دراسته لمختلف هذه الآراء النواة التى يرى أن يبنى عليها المشروع الجديد

ولكى نعرف ماهية الإصلاح المراد تهيئة أسبابه لهذه المؤسسة نقول إن عمل المجمع اتجه من إنشائه حتى اليوم إلى وضع معجم عام للغة، ومعجم تاريخى لها، ومصطلحات للعلوم والفنون، ودراسة اللهجات القديمة والحديثة . والمشروع الجديد يتجه بالمجمع إلى ما يأتى :

أولاً : أن يواصل المجمع عمله فى وضع معجم اللغة ومعجمها التاريخى .

ثانياً : أن يترك وضع المصطلحات العلمية والفنية وغيرها إلى الهيئات والجماعات المختصة بها ، على أن يسجل منها فى معاجمه ما يستقر فى التداول منها ، وما تقره اللغة

ثالثاً : أن تترك دراسة اللهجات الحديثة للجامعة ، ويكتفى المجمع بدراسة اللهجات القديمة

رابعاً : أن يقوم المجمع بعمل إيجابى فى إحياء اللغة وذلك بتشجيع الإنتاج الفكرى الحديث ، وإقامة مسابقات أدبية ، وتقرير مكافآت للمنتجين ، مقتفياً فى ذلك أثر « المجمع الفرنسى »

هذا وينتظر أن تصدر وزارة المعارف قريباً قراراً بتأليف لجنة برياسة الوزير لوضع مشروع القانون بإعادة تنظيم المجتمع

ذكرى السير اقبال

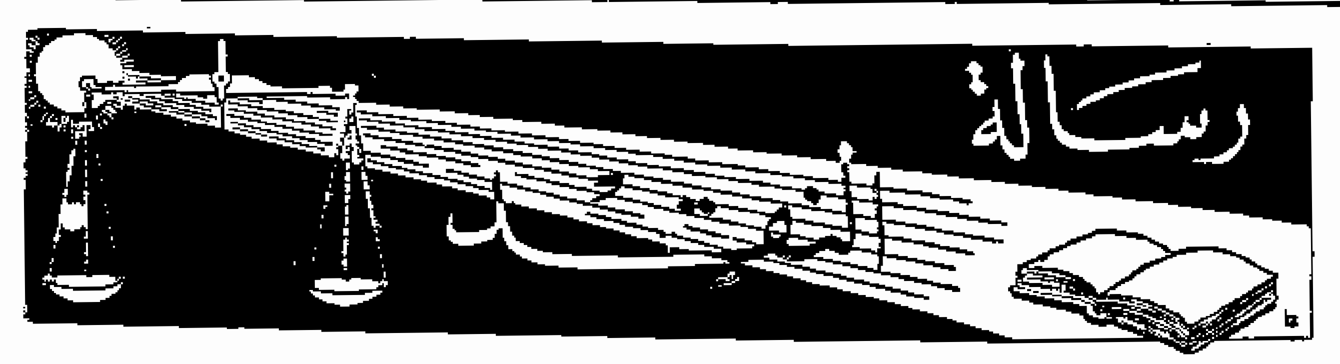
حفلت «قبة الغورى» مساء الخميس الماضى بجمهرة من أبناء الأمم الإسلامية الذين تربط بينهم جماعة « الإخوة الإسلامية » ليحتفلوا بالذكرى السنوية لوفاة الشاعر الهندى الفيلسوف الإسلامى المرحوم السير محمد إقبال

وقد استهل الاحتفال بتلاوة آى من الذكر الحكيم ثم استمع المحتفلون إلى طائفة من الشباب ينشدون « نشيد إقبال » ثم ألقى الأستاذ الكبير الدكتور عبد الوهاب عزام كلمة ممتعة تناول فيها بالتحليل مذهب الشاعر الهندى فى الفلسفة والتصوف ونظرته إلى الإسلام . ثم أعقبه السيد محمد حسن الأعظمى سكرتير الجماعة فألقى كلمة مستفيضة عن منزلة الشاعر إقبال بين شعراء الهند . وأعقبه الأستاذ أبو الحسنات الندوى فتحدث عن الشعر الغزلى الذى أنتجه السير إقبال ، ثم ألقى الأستاذ محمود جبر مرثية تناول بعدها الأديب الصينى الأستاذ بدر الدين ديوان الشاعر إقبال فأمتع وأبدع

وقد انصرف المحتفلون وهم يعرفون — من هذه الكلمات الشائقة — كثيراً من روائع الشاعر الهندى وآثاره الخالدات .

أبو تمام – الأستاذ عبد الرحمن شكرى

جاءتنا كلمة بهذا العنوان من الأستاذ الجليل (القارئ) بعد طبع هذا العدد فاضطررنا إلى إرجائها إلى العدد القادم



٤ – في سبيل العربيـــة

كتاب البخلاء

للأستاذ محمود مصطفى

في صفحة ٦٨ وردت في كلام الجاحظ حكمة أكثم بن صيفي وهي: المرء يعجز لا محالة. فعلق عليها الشارحان بقولهما: «أي لا تضيق الحيل ومخارج الأمور إلا على العاجز، والمحالة: الحيلة. ويروى المحالة كما في اللسان. ا. هـ»

ولهذه الحكمة كلام طويل عريض تناولناه في مثل هذه الأيام من العام الماضي في صحيفة البلاغ الغراء، وكنا نود أن يرجع الشارحان يوم ذاك إلى كلامنا في تحرير هذه الحكمة حتى لا يقعا فيما وقع فيه غيرهما من الإيمان بكل ما يقول السابقون من غير إجراء حكم العقل عليه.

نرى أن هذا الشرح الذي شرحه الميداني ونقله الشارحان خطأ ظاهر. لأننا إذا نظرنا إلى العبارة من وجهتها التركيبية رأينا أن هذا الشرح يستلزم أن تكون العبارة هكذا: (المرء يعجز لا محالة). ويكون المعنى كما شرح الميداني إن المرء هو الذي يعجز لا الحيلة.

وإذا نظرنا إلى المقام الذي وردت فيه العبارة رأينا أن أكثم كان ينصح لقومه فيقول لهم:

«أقلوا الخلاف على أمرائكم، واعلموا أن كثرة الصياح من الفشل، والمرء يعجز لا محالة. يا قوم تثبتوا فإن أحزم الفريقين الركين. ورب عجلة تهب ريثاً». فالرجل يثبط قومه عن القتال وينهنه من نزعاتهم الجامحة إليه. فهو يقول لهم: إن العجز من شأن الإنسان، وأنه لا حيلة له في توقيه.

فترى أن الأسلوب من ناحية والمقام الذي وردت فيه الحكمة من ناحية أخرى يوجبان أن يكون للمعنى غير ما ورد في الميداني، ورده الشارحان الفاضلان من غير مناقشة للرجل في رأيه مع أنه إنسان يخطئ ويصيب، فكيف بهما إذا علما أنه كان ناقلاً للمعنى عن آخر سبقه بالخطأ.

ذلك أن الميداني من أهل القرن السادس الهجري، وقد سبقه أبو هلال العسكري المتوفى سنة ٣٩٥ هـ في كتابه جمهرة أمثال العرب، فروى المثل هكذا: (المرء يعجز لا المحالة)، وقال في شرحه: إن المرء يعجز عن طلب الحاجة فيتركها، ولو استمر على طلبها والاحتيال لها لأدركها. فإن الحيلة واسعة فهي ممكنة غير معجزة. ثم روى أبياتاً جعلها في مقام الاستشهاد على معناه الذي رآه، وهي قول الشاعر:

حاولت حين هجرتني ... والمرء يعجز لا المحالهْ
والدهر يلعب بالفتى ... والدهر أروغ من ثعالهْ

والذي نقوله إن الشعر لا يسعف العسكري بمراده لأن الشاعر يقول: إني حاولت يوم هجرتني أيتها المحبوبة أن أقنعك بالرضا وأن أردك إلى عادة الوفاء لي فلم أفلح، والمرء لا بد عاجز، فهو ضعيف يلعب به الدهر ما شاء، ويغير عليه من إرادته ما شاء. فإذا ما حاول أن يظفر بالدهر ويتغلب عليه راغ منه، وفر كما يروغ الثعلب ويفر من قانصه. فهل يرى القارئ الكريم في الشعر رائحة التنديد بضعف الإنسان وقعوده عن المحاولة؟ أليس الشعر ناطقاً بأن المحاولة لم تجد صاحبها شيئاً، وأن العجز من شيمة المرء؟ فبان إذاً أن هذا الشعر الذي يستظهر به العسكري على معناه لا يسعفه بمراده، بل إنه يرد عليه زعمه، ويبالغ في تخطئته.

وقد نرى للعسكري مندوحة فيما قال. ذلك أنه لم ينسب الكلمة إلى أكثم، فلعل غيره قالها على هذا الوجه، كما أن شرحه مساوق للفظ الذي أورده (بتعريف المحالة) وكل خطئه إنما كان في دعواه أن الشعر يتمشى مع شرحه الذي رآه. فإذا بالشعر ينطق بغير ما يريد.

وليس في الشعر ما يساعده على رواية المحالة (بالتعريف) لأننا نستطيع حذف أداة التعريف من الكلمة ولا ينكسر الوزن

والخطأ ظاهر في صنيع الميداني لأنه لفق بين نص وشرح وارد لغير هذا النص .

وهذا الخطأ أظهر في صنيع الشارحين لأنهما نقلا كلام الميداني من غير تمحيص ، واستمرا بنقل صاحب اللسان ، وصاحب اللسان لم يخطئ في مهمته وهي النقل إذ لم يزد على قوله : ويروى لا المحالة . فهو لم يتعرض لتمحيص الرواية ، وليس ذلك من شأنه . ولكنه شأن الشارحين وهما لم يفعلا من ذلك قليلاً ولا كثيراً .

في ص ٧٥ : حكى الجاحظ أنه عاد يوماً في وقت القائلة ، والشمس حامية شديدة الوقع على الرأس ، ثم قال : أيقنت بالبرسام فيعلق الشارحان بقولهما نقلاً عن القاموس وشرحه : البرسام علة يهذي فيها . وهو ورم حار يعرض للحجاب الذي بين الكبد والأمعاء ، وهو يتصل بالدماغ . ثم يقولان : ولكنا نظن أن المراد هنا هو الرعن كما هو ظاهر من سياق الكلام . ففي القاموس رعنته الشمس : آلمت دماغه فاسترخى لذلك وغشي عليه .

وأمر الشارحين عجيب جداً في هذا المقام ، لأن الذي منعاه ليس بممتنع ، إذ البرسام كما نقلا علة تتصل بالدماغ . أليس اتصاله بالدماغ كافياً لافتراض نشوئه عن تعرض الدماغ للشمس ؟ ثم كيف ينيران على القائل قوله ويوجبان عليه أن يقول ما يريدان ؟ أليس القائل هو الجاحظ الذي يعرف اللغة ومدلولات ألفاظها ، ويعرف طب زمانه وحدود علله وأسبابها ؟ فكيف استساغا أن يقولا له : كان يجب عليك أن تقول فأيقنت بالرعن في موضع فأيقنت بالبرسام ؟ !

هذا والله أعجب ما رأينا من شأن الشارحين . فهما لم يكتفيا بأن يفرضا علينا آراءهما ويوجباها على طلاب المدارس ومدرسيها بعد أن دمغاها بالصبغة الرسمية التي حصلا عليها لشرحهما ، حتى أرادا أن تمتد سلطتهما على الجاحظ وزمنه .

لو أراد الشارحان أن يغيرا على الجاحظ رأيه في معاني الألفاظ وبينا أنه أخطأ المراد من لفظ البرسام لوجب عليهما أن يعودا إلى كتب الطب القديم ليستشيراها في معناه ، فإذا وجداه بعيداً عن المقام الذي يتكلم فيه الجاحظ فعند ذلك يقولان له أخطأت المراد وكان الواجب عليك أن تستعمل كلمة الرعن ، ولكنهما لم يفعلا شيئاً من ذلك ، وكل ما في الأمر أنهما عرفا معنى الرعن فشاءت لهما سلطتهما اللغوية التي يعدانها على طلاب المدارس ومدرسيها ، أن يغيرا على الجاحظ رأيه كأنما هما مفتشان أولان على الجاحظ أيضاً

في ص ٨٤ ورد ما يأتي :

« وقال لي هذا الرجل : أ كنا عنده يوماً وأبوه حاضر وبُني له يجيء ويذهب فاختلف مراراً ، كل ذلك يراما نا كل »

وقد ضبط الشارحان كلمة كل في عبارة « كل ذلك يراما نا كل » بالضم وعلقا على العبارة بما يأتي : « أي كل ذلك حاصل والصبي يرانا نأكل . ويظهر لنا أن العبارة كانت هكذا : كل ذلك وهو يرانا نأكل . فسقط من النسخ (وهو) » اهـ

ونقول إن التعسف في التقدير ظاهر جداً وما جر على الشارحين كل هذا إلا ضبطهما لكلمة « كل » بالضم . ولو أنهما أتيا الأمر من أيسر طرقه لضبطا الكلمة بالفتح فتعرب ظرف زمان لأن لفظ ذلك إشارة إلى الزمن المنقضي في المجيء والذهاب والاختلاف مراراً . والقاعدة التي يعرفها حضرتا المفتشين في كتاب (قواعد اللغة العربية) وغيره أن لفظي كل وبعض إذا أضيفا إلى الزمان أعربا اسمي زمان

في الصفحة عينها يقول الشارحان في السطر الذي قبل الأخير « المذار (بفتحتين) » . وما هكذا يفعل أهل اللغة لأن هذا الضبط لا يمنع أن تكون الذال مشددة مع الفتح ، فيكون ذلك خطأ في ضبط الكلمة . وإنما الذي يقال هو ما ذكره صاحب القاموس وهو قوله : المذار كسحاب

في ص ٨٧ في نصيحة خالد بن يزيد لابنه : « وقد دفعت إليك آلة لحفظ المال عليك بكل حيلة ثم إن لم يكن لك معين من نفسك ما انتفعت بشيء من ذلك بل يعود ذلك النهي كله إغراء لك ، وذلك المنع تهجيناً لطاعتك »

فيعلق الشارحان على عبارة « وذلك المنع تهجيناً لطاعتك » بقولهما : يعني أنك لو أطعت في حال انصراف نفسك كان ذلك قبيحاً بطاعتك ، لأنها تكون إذاً مغتصبة وغير صريحة .

لا ، لا أيها الشارحان . إنما المراد : إنك تقف من نهي لك موقف الذي لا ينتهي عما نهاه عنه أبوه ، وتكون تلك سبة لك بأنك لم تطع والدك ، وهذا يشين خلق الطاعة فيك ، لأن أولى الطاعة طاعة الآباء

وإن كان من العجب أن يكون هذا رأي الشارحين في عبارة الكتاب ، فأعجب منه أن يكونا قد شرحا ما قبلها شرحاً لائقاً بالمقام فجمعا بذلك بين متناقضين في سياق واحد

فقد قالا في شرح العبارة التي قبلها : « يعني أن نفسك إذا لم تقبل على ما وجهتك إليه صار النهي لها بمنزلة الإغراء والحض على ارتكاب المنهي عنه »

وهذا منهما حسن يوافق ما أراده القائل للعبارة ، فالعجب العاجب أن يعطفا على الجملة وهذا معناها في نفسهما جملة أخرى مناقضة لها على حسب ما شرحا ، إذ الأول أثبتت أنه عصى أباه

فى نصحه ، والثانية أرادا منها أنه أطاعه ولكن بالكره لا بالرضا ، فجمعا فى كلامهما بين العمل والترك أو بين الضد والضد . فهل شرح كل واحد منهما جملة ثم ضما عملهما وصفا حروفهما من غير أن يستشير أحدهما الآخر فيا رأى ؟ هـذا هو الأشبه بعملهما .

وفى الصفحة عينها يقول الوالد لولده : « وقد بلغت فى البر منقطع التراب ، وفى البحر أقصى مبلغ السفن ، فلا عليك ألا ترى ذا القرنين »

ويعلق الشارحان على هذه العبارة بقولهما : ويشير بقوله : ألا ترى ذا القرنين ، إلى قصة ذى القرنين المذكورة فى القرآن الكريم ، يعنى أنا كاف عنه

ولم أر إدماجاً فى شرح مثل الذى أراه فى عمل الشارحين . إنهما لم يكلفا أنفسهما الاطلاع على قصة ذى القرنين واستخلاص المراد من الإشارة التى يقولان عنها . ولذلك أوردا كلامهما بهذا الغموض

والذى أفهمه من كلام الأب لابنه أنه يقول له : إنى مجرب عرفت ما فى الدنيا وجبت عامرها براً وبحراً فاستفدت تجارب كثيرة وزودتك بخلاصتها . فإذا عملت بهـا كنت كأنك شاهدت ما شاهدتُ ، وجربت ما جربت ، وإنى فى تطوافى بالأرض وجوبى لأقطارها بمنزلة ذى القرنين الذى بلغ مطلع الشمس ، فإذا فاتك أن تكون رأيت ذا القرنين فقد رأيت نظيره وهو أبوك

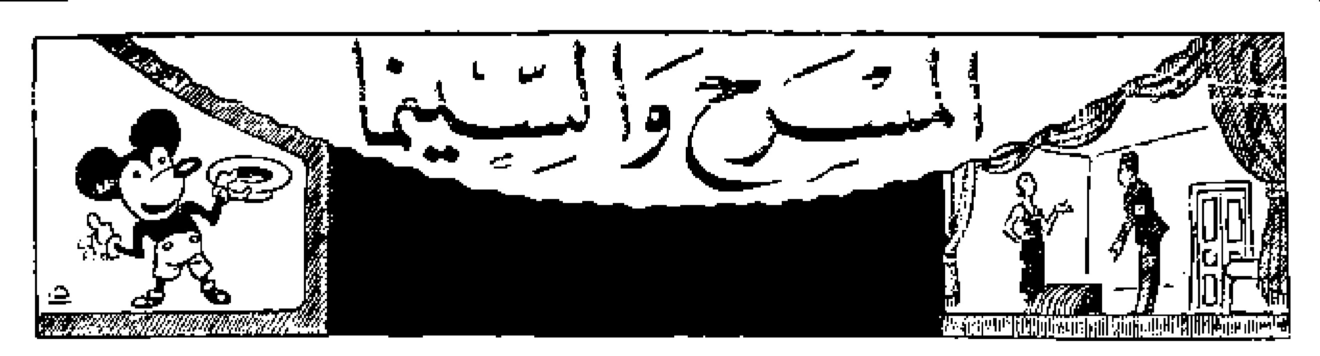
فى ص ٨٨ ما يأتى :

« دع عنك مذاهب ابن شرية فإنه لا يعرف إلا ظاهر الخبر »

وقد علق الشارحان على « ابن شرية » بقولهما : لم نقف لهذا الرجل على خبر فى كتبنا ، ولم نفهم ما يقصد من مذاهبه ؟ وفى نسخة شرية اهـ

وبهذه المناسبة نقول إن الشارحين قد أعلنا عجزهما عن معرفة كثير من الأعلام التى وردت فى الكتاب ، ونحن نعذرهما فى كثير من ذلك لأن الجاحظ يتكلم عن خلطائه ، وليس كل هؤلاء قد رزقوا الشهرة حتى تدون أسماؤهم فى كتب الطبقات. فهما فى بعض ذلك بمنجاة من اللوم ؛ ولكن ليس ينبغى أن يسرى هذا العجز إلى هذا العلم المشهور وهو « عبيد بن شرية » فهو رجل معاصر لمعاوية بن أبى سفيان وكان عالماً بالأخبار ، وكان معاوية يستمع منه قصص الماضين وتدابير الملوك لينتفع بهـا فى ملكه . وقد ورد اسمه فى كتب كثيرة نذكر منها الآن من غير استقصاء : معجم الأدباء لياقوت ، وفهرست ابن النديم ، ومقدمة ابن خلدون وفى الحديث كتاب فجر الإسلام للأستاذ أحمد أمين

فقول الشارحين أنهما لم يقفا له على خبر لا يعفيهما من اللوم . ثم إن عدم وجوده فى كتبهما لا يكفى لنفى وجوده فى كتب غيرهما ؛ فلو أنهما اعتصما بالصبر فى البحث لوجدا على حبل الذراع تراجم كثيرة لهذا الأخبارى النابه الشأن . (فالكلام بقايا) محمود مصطفى



مدير الفرقة القومية وسكرتيره وحكاية الأب لويس شيخو

لقيني أحد ممثلي الفرقة فقال وهو يبتسم ابتسامة تحمل الكثير من معاني الفرح والشماتة والانتقام، ويشير إلى مجلة مطوية في يده : ها هو ذا العدد الأخير من « الرسالة » أحمله إلى حضرة المدير . قلت : ما الداعي إلى الخفة والمسألة بسيطة عادية ؟ فأجاب : حقاً إن المسألة عادية ولكنها غير بسيطة في نظر المدير وسكرتيره المبجل كما أسميته أنت . قلت : أوضح ، فقال :

اعتاد هذا السكرتير تقطيع مجلة الرسالة إرباً حتى لا يطلع حضرة المدير على ما ينشر فيها

قلت : ألا يطلع مديركم على كل ما تكتبه الصحافة في الفرقة ؟

فقال : أحسب أن وفرة مشاغله المتنوعة لا تمكنه من ذلك، ولكن سكرتير الفرقة يطلعه من وقت إلى آخر على خلاصة بعض ما ينشر في الصحف

دعوت لهذا الممثل ولفرقته بالنجاح وانصرفت !

ولمناسبة هذا الحديث البسيط أروي القصة التالية :

ألف المرحوم الأب لويس شيخو الأديب العالم اليسوعي كتاباً أسماه « شعراء النصرانية » وطاب له لسبب من أسباب مهنته حشر طائفة من شعراء جاهليين وغير جاهليين قال إنهم نصارى ؛ فانبرى له المرحوم الشيخ محمد الخياط أو خليل الخياط يفند مزاعمه ويعيد الفروع إلى أصولها ويصحح أغلاطاً عروضية ولغوية في الكتاب، ولم يأبه لصحيفة البشير لسان حال الجزويت التي لم تكن تتغاضى عن هنة ولو بسيطة تمس النصارى من قريب أو بعيد

ترقب الناس وقوع الواقعة بين البشير النصرانية وبين صحف المسلمين وتوجس عقلاء الطائفتين من تطورات الحملة الأدبية وانقلابها إلى تنديد . . .

مضى الشيخ الأديب في نقده لا يصده عنه صاد ، وهو يعلم أن للآباء اليسوعيين سلطة نافذة وطرائق ذات شعاب أخطبوطية فتاكة ولكنه لم يأبه لها لأنه كان يدافع عن حق لوجه الحق

صدرت جريدة البشير وتلتها مجلة المشرق في الصدور خاليتين من كلمة واحدة في الرد على الشيخ الناقد

شدد الناقد الحملة وزاد العيار . . . وأخيراً ذهب يدفع باب الجزويت يستطلع سر سكوتهم وكتم استلائهم وهم الجبابرة الأشداء

رحب الآباء اليسوعيون بالزائر الناقد خير ترحاب ، وأكرموه الإكرام اللائق بعلمه وأدبه ، وأطلعوه على سرهم فقالوا إنهم ألفوا لجنة برئاسة الأب لويس معلوف لدراسة نقده وتصحيح أخطاء وقع فيها كبيرهم الأب شيخو، ولم يدعوا الشيخ ينصرف إلا بعد الاتفاق معهم على مواصلة حملته الصارمة عليهم لإظهار الأغلاط التاريخية والعروضية واللغوية في كتابهم

أرجو ألا تنسى أن كتاب شعراء النصرانية محدود الغرض بطائفة الخاصة من الأدباء في حين أن الفرقة القومية أوسع مدى وأفسح أفقاً من الكتاب وأنفذ إلى مشاعر الشعب وأحاسيسه وخلائقه منه ، وأن للفرقة القومية رسالة فرضتها وزارة المعارف حين إنشائها قالت : « إن غايتها رفع مستوى التأليف والتعريب المسرحي وترقية الإخراج وترقية الموسيقى المسرحية والغناء المسرحي بحيث تكون صالحة للتمثيل العربي والأجنبي ، وإعداد الممثلين والمخرجين إعداداً فنياً صحيحاً » فأين الفرق بين جماعة ألفوا لجنة من خيرة علمائهم لتصحيح أغلاط في كتاب، من سكوت الفرقة القومية عن كل ما يقال فيها ؟

دع عنك العمل الصبياني الصادر من سكرتير الفرقة لأنه غير مستغرب وقوعه منه ، لجهل العامة التي تطمر رأسها في الرمال كيلا ترى الصياد كعائل تقطيع مجلة (الرسالة) لكيلا يقرأها مدير الفرقة

دع عنك أيضاً أن وزير المعارف ووكيله وآلافاً من الناس يقرأون الرسالة، فتقطيع عدد أو مائة عدد لا يصد الناس عن قراءة عيوب الفرقة وعلل إدارتها

حدثني صديق قال: إن مدير الفرقة يعزو حملة الرسالة على الفرقة بسبب قبض يده عن إمدادها بالإعلانات، ولكنه دهش وتعجب حين قال له صديق: إن الأساتذة تيمور، وطليمات، والحكيم، ورمزي، وناجي، ورستم، وفارس، أجمعت أقلامهم على طلب إصلاح الفرقة، وقد عددوا وسائل الإصلاح وأبانوا مواطن الضعف، وقد فعلوا ذلك لا طمعاً في أجر ولا رغبة في انتقام. فأجاب: إنه لم يطلع على ما كتبه هؤلاء الأساتذة!!

* * *

نعود إلى موضوع أحاديث الأدباء فنجمل أجوبة الأستاذ بشر فارس، وقد سألناه: هل المسرح في تقدم؟ وهل الروايات المترجمة أنفع لنا أم المؤلفة؟ وهل في المباراة ما يحفز المؤلف على التأليف؟ فأجاب:

« إن المسرح عندنا لا يزال في جنب النشأة، حتى جانب التكوين لم يبلغه، فكيف لنا أن نتكلم عن تقدمه أو تأخره؟ إنه يحق لنا أن نلقي مثل هذا السؤال: هل المسرح عندنا متجه في نشأته اتجاهاً مرضيًّا؟ والجواب قريب ذلك أنه لا بد للمسرح أيام قيامه من عناصر معروفة، منها المسرحيات المؤلفة والممثلون والممثلات والنظارة والمخرجون والناقدون. فإذا نظرنا إلى ما بين أيدينا في مصر وجدنا المسرحيات المؤلفة (ما عدا واحدة أو اثنتين «أهل الكهف» لتوفيق الحكيم مثلاً) بعيدة عن طرائف الفن الخالص، بل مجراة على أسلوب طفل، لأن المقدمين على التأليف المسرحي يجهلون مبادئ هذا الفن ويظنون أن اللغو والخطابة والنواح والتعريض والوعظ غاية الغايات. وإن كان لدينا ممثلون لهم دراية، قلت أو كثرت، بفن التمثيل فإن ممثلاتنا إلا أقلهن إنما يرين أن التمثيل إلقاء وصياح لقلة ثقافتهن وعجزهن عن الاتحاد بالنص. وأما النظارة فقد تعودوا مشاهدة لونين من المسرحيات: المهزلة التهريجية، والمأساة المفرطة، وكلتاهما من النوع الأسفل، كما أنهم تعودوا الإخراج الواقعي، فمن المتعذر عليهم أن يميلوا إلى المسرحيات الضاربة إلى التفكير أو الشعر أو الاختلاج الباطني أو إلى الإخراج الإيهامي. ثم إن للفرقة مخرجاً أجنبياً وكان لها فيما قبل مخرج مصري حاذق هو الأستاذ زكي طليمات، ولكن الإخراج مرتبط بالمسرحية نفسها والممثلين والنظارة. وأما النقاد فلا أكاد أرى اثنين يحق لهم أن يعالجوا الكتابة في المسرح »

وقال رداً على السؤال الثاني: « الترجمة أولاً حتى يتهذب النظارة ويظفر المؤلفون بأمثلة يحتذونها بل ينتفتون إليها، والتأليف لمن يصيب من نفسه قدرة على وضع مسرحية تمتاز بالطرافة والقوة والاتساق والفكرة الناهضة »

« أما الترجمة فالذي أراه أن الفرقة القومية ينبغي لها أن ترغب إلى الكتاب الذين يجيدون اللغات الأجنبية إلى جانب العربية أن ينقلوا المسرحيات النفيسة إلى لغتنا؛ وأما التأليف فلا مباراة ولا رغبة إلى أحد من الناس، وإنما المؤلفون الحقيقيون — أعني المنجذبين إلى التأليف المسرحي من ذات أنفسهم لا الطامعين في جائزة — ينشرون ما يؤلفون، وللفرقة القومية أن تقبل عليه إذا رأت له شأناً »

وللدكتور فارس رأي طريف في النقد والناقد أؤجل نشره لفرصة مواتية لاتصاله برأي طريف أيضاً من نوعه قاله عالم غير سربوني

ابن عساكر


الفرقة القومية المصرية بدار الأوبرا الملكية
الدورة الثانية من الموسم الرابع
من السبت ٢٢ أبريل الى الأربعاء ٢٦
رواية
عطيل
لشكسبير وترجمة الأستاذ خليل مطران
أعدها للمسرح المسيو فلاندر
يقوم بأهم الأدوار حضرات الأساتذة :
جورج أبيض (يمثل عطيل)
دولت أبيض (تمثل ديدمونه)
منسى فهمي (يمثل ياجو)
فردوس حسن (تمثل إميليا)
بالاشتراك مع :
علي رشدي فؤاد شفيق روحية خالد زكي رستم عباس فارس
وبمساعدة :
فؤاد فهيم سعيد خليل يحيى شاهين أحمد نصار محمود اسماعيل
مؤلف موسيقى الرواية الأستاذ عبد الحميد عبد الرحمن
أسعار الدخول خالصة أجرة الضريبة :
١٠٠ بنوار ٧٠ لوج ٥٠ لوج ثان ١٥ ممتاز ١٢ مخصوص ١٠ ستال ٨ بلكون ٥ أعلى
تطلب التذاكر من شباك الأوبرا تليفون ٥١٧٩٣
ابتداء من السبت ٢٩ أبريل الساعة ٥ و ٨ و ٤٥ رواية :
المال والبنون
قصة مصرية من ٤ فصول في ٦ مناظر تأليف الأستاذ : فهيم حبشي